
رواية
نِيرگا
بداية الملحمة
د. ياسر عبد السلام
تشكيل للنشر والتوزيع

نيركا

رواية

د. ياسر عبد السلام

تَشكِيل للنَشر والتَوزِيع

Email publish@tashkeel- publishing.com
Website www.tashkeel-publishing.com
Mobile 201006250473 FB/Tashkeeel

I.S.B.N : 978-977-6555-88-4

رقــم الإيــــداع: 2244/ 2019

تصميم الغـلاف : أحمد فرج

المراجعة اللغوية : أميرة أسامة

الإخراج الفنـــي : ضياء فريد

المـديــر العــام : سيد شعبان

إهداء

إلى روح الدكتور أحمد خالد توفيق
عراب هذا الجيل.

إلى روح والدي ومعلمي..
إلى والدتي واخوتي سندي في هذه الحياة..
إلى زوجتي حبيبتي وأطفالي حاضري ومستقبلي
أهدي هذا العمل..

فلتبدأ الملحمة

قدري

تسللت أشعة الشمس من صباح يوم شتوي جميل في أول شتاء عام ٢٠١٠ إلى الغرفةِ الضيقة منً الشقةِ الصغيرة الواقعة في الدور الثاني علوي في حي راقٍ لمدينةِ القاهرة، وبدأت ملامح الغرفة في الظهور حيث انتشرت الملابس في كلِ جنب من جنَبَات الغرفة حيث تكاد تُقسم أن من يقتني تلك الشقة لا يمكن أن يتبين طريقه بين كل تلك العوائق بدون أن يتعثر في أحدهم على الأقل.

بدأت ملامح الغرفة في الظهورِ حيث تنتشر ملابس على أرضية الغرفة، في حين استقر دولاب ملابس مستكينًا في أحد الجنبات فاغرًا درفتيه على مصراعيهما؛ لتظهر المزيد من الملابس المبعثرة بعناية حيث ألقاها صاحبها، في حين ترقد بدلة بوليسية على أحد الأرفف في حين اعتلاها طبنجة ميري بجرابها الأسود.

وعلى بُعد خطوةٍ واحدة كان ذلك السرير الصغير حيث أُلقيت بجانبه بواقي وجبة سريعة، في حين يرقد ذلك الجسد الأسمر القويّ البنية الحاد الملامح وإن كان لا يخلو من بعض الوسامة، في حين أغرق العرق جسده الممشوق شبه العاري إلَّا من قطعةٍ صغيرة من ملابسهِ الداخلية وامتدَّ العرق ليُغطي وجهه الذي اكتنفه جمودٌ يشبه جمود الموتى لولا الأنفاس المنتظمة التي تُحرك صدره لظَنَّ من يراه أنهُ جثة.

تحركت عقارب الساعة لتشير إلى السابعة صباحًا ليتحرك ذلك الجسد في نفس اللحظة معتدلًا وتتغير ملامح وجهه إلى الذُعر في حين ازداد عرقه وتعالت أنفاسه.

استمر ذلك الوضع ما يقرب من دقيقة استغلها صاحب الجسد الممشوق ليهدئ من أنفاسه وان كان الإرهاق الشديد يعتصر كل خليةٍ من قسمات وجهه الذي تزيَّن بهالتين سوداويتين حول عينيه في حين بدأت ملامح الذعر تتبدل إلى الهدوء وهو ينهض من فراشه ليتوجه إلى الحمام حيث ألقى بجسدهِ تحت المياه المتدفقة من الدش كأنما يمحو ما كان يحلم به منطلقًا بعد ذلك إلى غرفتهِ من جديد ليلتقط بعض الملابس من أرضية الغرفة ويرتدي إياها ويلتقط جراب مسدسه ويضعه فوق حزامه وينطلق مغادرًا منزله.

ما كاد ذلك الشخص يهبط إلى الدور الأرضي حتى وجد بواب العمارة يُسرع ناهضًا وهو يرفع يده بالتحية.

ـ قدري باشا... تمام في موعدك اليومي.

لم يتوقف قدري عن خطواته الثابتة ولم يلتفت حتى لصاحب الصوت وهو يكمل طريقه قائلًا:

ـ شعبان كيف حالك...؟

ثم ألقى إليه بمفتاح الشقة.

ـ شقتي أصبحت مكب للنفايات.

ـ لا تقلق قدري باشا.

هكذا رد شعبان البواب قبل أن ينطلق قدري بسيارته متوجهًا إلى مديرية الأمن حيث يعمل في إدارة البحث الجنائي.

قطعت السيارة الصغيرة شوارع القاهرة حتى وصلت إلى وجهتها أمام مديرية الأمن ولم يكد قدري يطأ بقدمهِ سلالم المديرية حتى ارتفعت له الأيدي بالتحيةِ العسكرية في حين أخذ قدري يرد التحية وهو متقدمًا حتى وصل إلى الدور الثالث حيث يقع مكتبه ولم يكد يقترب منه حتى ارتفع من خلفهِ صوتٌ ساخرٌ:

ـ أخيرًا ظهر قدري باشا.

استدار قدري ليجد زميلًا له يقف في الردهة وعلى وجهه ابتسامة عريضة ساخرة.

ـ كيف حالك يا أيمن؟

هكذا رد قدري.

ـ أكيد أفضل منك.. إن علامات الإرهاق تعلو وجهك.. أين ذهبت مساء أمس لقد حاولت الاتصال بك؟

ـ قلت لك مرارًا أن الليل لي وحدي وأنني لا أرغب في أي اتصالٍ بالليل.

تغيرت نبرة أيمن إلى الغضبِ وهو يصيح:

ـ إذًا نقول للناسِ ألا يرتكبوا جرائمَ بالليل حتى تستطيع اللهو كما يحلو لك.

ارتسم شبح ابتسامةٍ ساخرة على شفتيّ قدري وهو يقول:

ـ اللهو!... أنا لم أغادر منزلي منذ البارحة... ثم أنني عرضت عليكم مرارًا وتكرارًا أنني مستعد لتحمل العمل وحدي في الصباح، وبالليل أحدكم يفحص القضايا حتى اليوم التالي فقط.

ارتفع صياح أيمن وهو يقول:

ـ هذا ليس بأسلوبٍ للعمل ولقد قدمتُ مذكرة رسمية ضدك بهذا.

تنهد قدري وقد نفذ صبره:

ـ أيمن... لماذا كنت تبحث عني أمس؟

أخذ أيمن نفسًا عميقًا كأنما يبتلع غضبه:

ـ جريمة قتل ... في الزمالك...

ـ تمام سأحتسي قهوتي ثم أحصل على التفاصيل وأنطلق مباشرةً.

قالها قدري والتفت متجهًا إلى مكتبه قاطعًا الردهة بخطواتٍ واسعة ودلف إلى المكتب ليغلق الباب خلفه.

جلس قدري على المكتب ليطلب قهوته ولم تمضِ دقائق حتى دخل رجل في أواخر العقد الخامس من العمر ومعه قهوة قدري المعتادة.

ـ الإرهاق الشديد يبدو عليك... يجب أن تحصل على قسطٍ من الراحة لتنام.

ـ ماذا لو كان النوم لا يعني الراحة؟

وضع الرجل القهوة على المكتب وهو يقول:

ـ أنا لا أفهم ألغازك قدري باشا.

ثم وضع ورقةً صغيرة أمامه.

ـ بيانات عنوان جريمة القتل التي طلبتها... هناك أمين شرطة يؤمِّن موقع الحادث يُدعى أنور وهو في انتظار سيادتك.

قالها وترك المكتب وانصرف ليترك قدري وراءه يتأمل المنظر من مقعده خلال النافذة وخلال لحظاتٍ قليلة بدا المشهد ثابتًا ثم أسند قدري رأسه إلى الخلف وأغمض جفنيه إلا أنه انتفض بعد ثوانٍ قليلة وهو يتمتم

ـ لا ليس هذا وقته.

وانقضَّ على قهوتهِ يلتهمها في نهمٍ كأنما يُجبر نفسه على البقاء مستيقظًا، ثم ينطلق مسرعًا ولم يَمضِ الكثير من الوقت حتى وصل قدري إلى مكان الحدث ليجد أنور في انتظاره.

كان أنور مثالًا لأمينِ الشرطة بجسدهِ الضخم وشاربه الكثيف وما أن رأى قدري حتى هبَّ مؤديًا التحية العسكرية، فردَّ عليه الأخير التحية وهو يقول:

ـ هات ما عندك... كل ما تعرفه عن الحادث.

رد أنور وهو يقود قدري عبر الردهات:

ـ القتيلان رجل وزوجته كلاهما في العقدِ السادس من العمر يسكنان الشقة بمفردهما؛ لديهما ابن واحد يعيش في الخارج... الرجل ميسور الحال وزوجته ربة منزل.

وصل قدري وأنور إلى غرفة المعيشة حيث تبعثرت محتويات الغرفة على الأرض وانتشرت بقايا حطام بعض المقتنيات في حين يقبع رسمَين لموقع الجثتين على الأرض مع بقعةِ دماءٍ كبيرة.

ـ ما هو عمل الرجل؟

هكذا سأل قدري.

ـ لديه محل لبيعِ المشغولات الذهبية.

ـ فقد شيئًا؟!

ـ لم نعثر على أي أموال أو حُليّ وفي الأغلب سُرقت.

تجوَّلت عينا قدري عبر الغرفةِ وهو يسأل:

ـ أهناك شيءٌ آخر؟!

ـ نعم.. هناك شاهدة.

اقتضبت أسارير قدري وهو يقول:

ـ شاهدة؟

ـ نعم.. إنها تعيش بالعمارةِ المقابلة ورأت الحادثة وهي التي أبلغت النجدة وتم استجوابها.

ثم مرر أنور ورقة إلى قدري:

ـ هذه أقوال الشاهدة.

ـ هل أنهى رجال المعمل عملهم هنا؟

ـ نعم قدري باشا.. لا توجد أيةِ بصمات.. وهناك آثار اقتحام .. وتم نقل الجثتين إلى الطب الشرعي وبهما عدة طعنات وفي انتظار تقريره المبدئي.

انطلق قدري مغادرًا الشقة فهتف به أنور:

ـ إنها قضية سهلة أليس كذلك؟ اقتحام وسرقة.

ـ ليتها كذلك.. ولكنها ليست.

ترك بعدها قدري أنور في حيرتهِ وتوجه إلى العمارة المقابلة حيث توجد الشاهدة، وما أن وصل إلى باب الشقة وقرع الجرس حتى فتحت له سيدة ترك الزمان آثاره على قسماتِ وجهها والذي غلَّفتهُ بطرحةٍ بيضاء.

ـ قدري سليمان.. مباحث جنائية.

ثم نظر إلى الورقة التي أخذها من أنور وهو يستطرد:

ـ أتعيش هبة منصور هنا؟

تحركت العجوز لتُخلي له الطريق وهي تقول بلطفٍ:

ـ تفضل يا ولدي.. إنها بالداخل.

دلف قدري إلى الشقةِ حيث جلس منتظرًا الشاهدة التي دخلت السيدة لتُحضرها ولم تكد تمضي دقيقتين حتى خرجت إليه سيدة متوسطة الطول متناسقة القوام في أوائل الثلاثينات من العمرشعرها أسود اللون.

وقف قدري مستقبلًا إياها ولكنها أشارت إليه بالجلوس وهي تقول:

ـ تفضَّل .. أنا لا أفهم ما كل تلك الاستجوابات.. لقد أدليت بأقوالي للشرطةِ أكثر من مرة.

ـ أعلم أن الأمر صعب عليكِ ولكنني سأحاول ألَّا آخذ من وقتكِ الكثير

قالها قدري ونظر إلى الورقةِ التي في يدهِ وهو يقول:

ـ حسب أقوالك أنك كنتِ تقفين في الشرفةِ حين سمعتِ أصواتًا تتعالى من الشقةِ المقابلة والتي كان يقطنها المجني عليهما، وحين نظرتِ وجدتي الرجل يحاول الهروب والمعتدي يطعنه عدة طعنات في ظهره في حين هجم آخر على الزوجةِ وأمسك بها ثم وجَّه إليها بعض اللكمات وأخيرًا قام بطعنها، ثم نظر الأول إلى زملائه وتوجهوا صوب الغرف ثم خرجوا ومعهم المال والحُليّ.

ثم ترك الورقة وهو ينظر إلى هبة ويقول:

ـ ما المدة التي أمسك بها المعتدي الزوجة؟

ـ أكثر من دقيقة بقليل.

ـ أيمكنك التعرف على الجناة.

ـ لا لقد كانوا ملثمين.

وقف قدري وهو يقول:

ـ سؤال أخير سيدتي.. هل جذب انتباهك أي شيءٍ غريب بالشارعِ بينما كنتِ تنظرين من الشرفة؟

ـ لا.. لا يوجد شيءٌ غريب.

ـ علام كنتِ تنظرين؟

ـ لا شيء محدد مجرد أنظر إلى المارةِ وأتجول بين الوجوه.. وكان هناك شخصٌ أجنبي عند أول الشارع.

كان قدري يهم بالرحيل حين استوقفته كلمة هبة.

ـ أجنبي؟ أنتِ واثقة من هذا؟

ـ نعم.

ـ هل شاهدك؟

ـ لا أعلم لقد انشغلت بالحادث واستدعاء الشرطة ودخلت وخرجت إلى الشرفة بضع مرات.

هنالك ظهرت العجوز تحمل كوبًا من الشاي لتقدمه إلى قدري.

ـ تفضل يا ولدي.

ابتسم قدري وهمَّ بالاعتذار.. ولكن شيء ما في عينيّ المرأة استوقفه فلم يدرِ إلَّا ويده تمتد إلى كوبِ الشاي لتأخذه.

ـ شكرًا سيدتي.. هل يمكنك أن تدليني على مكان الهاتف؟

أشارت المرأة إلى غرفةٍ ملحقة وهي تردف:

ـ عندما تتم اتصالك يكون الغداء جاهزًا.

قالتها السيدة ودلفت من حيث أتت تاركةً قدري يقول:

ـ سيدتي لن أستطيع..ثم أدرك أن السيدة رحلت فنظر إلى هبة.

ـ هل يمكنك الاعتذار لها فأنا وقتي....

قاطعته هبة وهي تومئ برأسها متفهمةً.

ـ بالطبع سأعتذر لها.

ثم أشارت إلى غرفةِ الهاتف.

ـ تفضل.

توجَّه قدري صوب غرفة الهاتف، بينما دلفت هبة إلى والدتها في المطبخ وهي تهمس:

ـ لماذا عرضتِ عليه البقاء للغداء؟

ردت عليها السيدة هامسةً بلكنةٍ تدل على أنها من بلادِ المغرب العربي:

ـ هناك شيءٌ غريب بخصوص هذا الشاب.. أستطيع الشعور بهِ.

ـ أستعودين لخرافاتِ السحر؟!

ـ ليست خرافات وأنا غير مجبرة لإقناعك ولكن هذا الشاب روحه أكبرِ من عمره كما لو أنه يعيش عمره مرتين.. أنا لم أرَ في حياتي أي شخصٍ مثل هذا.

ازداد همس هبة حدة وهي تقول:

ـ ماذا تقصدين؟

ـ أقصد...

قاطعها صوت قدري من الخارج وهو يهتف:

ـ سيدتي أنا مضطر للانصراف.

همهمت العجوز وهي تخرج من المطبخ:

ـ وكأنني سأترك تلك الفرصة تهرب من يدي.

وتحولت لهجتها إلى المصرية عندما رأت قدري.

ـ لن يحدث هذا .. هل ستتحمَّل أن تكسر بخاطر سيدة مثل والدتك؟

ـ لا يا سيدتي ولكنها مهام العمل.

اقتربت منه المرأة وهي تحدق في عينيه:

ـ ماذا بك يا ولدي.. ما الذي تخفيه عن العالم.. ما الثقل الذي تحمله على كاهلك؟

فوجئ قدري بقول المرأة مما جعله يرتبك قليلًا ولكنه سرعان ما تمالك نفسه:

ـ لا شيء له علاقة بما قدِمتُ لأجله.

ابتسمت المرأة:

ـ جيد أنك لم تستطع الكذب.

ـ سيدتي لقد قدمت لسببٍ واحد وهي جريمة القتل.

ـ ربما أستطيع مساعدتك.

سادت فترة من الصمتِ بينهما قطعها صوت جوال قدري الذي سارع بالرد وهو يستمع باهتمامٍ إلى محدثهِ قبل أن يشكره منهيًا المحادثة.

خرجت هبة في هذه اللحظة لتنضم إليهما فبادر قدري بقوله:

ـ المكان هنا أصبح غير آمن لكما.

تشبثت هبة في ذراع والدتها وهي تهتف به:

ـ ماذا تقصد؟

ـ أقصد أن قاتل العجوزين شاهدك وأنتِ تُبلغين الشرطة وأنتِ رأيته ويمكن أن يعود لك.

نظرت هبة إلى والدتها وهي تقول بصوتٍ شاحب:

ـ إلى أين يمكننا الذهاب؟

صمتت والدتها تمامًا وعلامات الحيرة تبدو عليها فتدخل قدري:

ـ ربما يمكنكما الذهاب إلى أحد الأقارب.

نقلت إليه هبة نظرها:

ـ ليس لنا أقارب هنا؛ والدتي ليست مصرية ووالدي مصري وكنا نعيش بلبنان ولا نعلم لنا أقارب في مصر.

همَّ قدري باقتراحِ جديد حين قاطعهُ صوت طرقاتٍ قوية على بابِ الشقة وتحركتً هبة لتفتح الباب إلَّا أن يد قدري منعتها وهو يقول:

ـ اسمحي لي..

وتحرك بهدوءٍ ليقف خلف البابل يُصيح:

ـ من؟!

أتاه صوت أجش من خلف الباب:

ـ مباحث.

انقبضت أسارير قدري الذي نظر إلى هبة ووالدتها مشيرًا إليهما بالاختباءِ بالداخل، ثم امتدت يده لتفتح الباب بهدوءٍ شديد لينظر إلى ثلاثة رجال ممشوقي القوام ضخام الجسد فبادر أحدهم بالسؤال:

ـ أين السيدتان اللتان تعيشان في تلك الشقة؟

- من يسأل؟

رد عليه قدري وابتسامة باهتة تظهر على شفتيه فرد آخر بغلظةٍ:

- أخبرناك.. مباحث.. ونريدهما معنا.
- لو كنتم مباحث لتعرفتُ عليكم ولَكُنَّا نعمل في نفس المكان.

نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض ثم امتدت يد أضخمهم لتسحب قدري بعيدًا عن الباب، في حين اندفع زميلاه نحو الداخل، ولكن فوجئ المهاجم بيدٍ من فولاذ تقبض على معصمهِ؛ لتلويه بقوةٍ وتدفعه ليسقط عبر الدرج في حين انفجرت قنبلة في بطنِ الثاني إثر ركلةٍ من قدم قدري، في حين امتدت يد قدري اليسرى لتسحب الأخير من ملابسهِ قبل أن يُفاجأ بشلالٍ من الدماء عبر أنفه إثر رأسية موجهة من قدري ألقتهُ أرضًا.

كان الأول قد بدأ في صعودِ درجات الدرج من جديد، ولكن قدم قدري استقبلتهُ لتعيده من حيث أتى؛ قبل أن يُجبر الثاني الذي كانت معدته ما زالت تؤلمه على النهوضِ قبل أن تحتضن بطنه ركبة قدري الفولاذية، وقبل أن ينحني جسده يتبعها قدري بقنبلةٍ من قبضتهِ على مؤخرة عنقه؛ فيهوي على الأرض ثم ينقض قدري على زميله على الأرض وشلال الدماء ما زال يصب من أنفهِ ليُكيل إليه لكمتين؛ لتغيم الدنيا أمام عينيه ولكن زميلهما تمكن

من صعودِ الدرج في هذا الوقت؛ ليدفع قدري بكل قوته ليسقط داخل الشقة، ثم ساعد زميليه على النهوض وانطلق ثلاثتهم في سباقِ الهروب.

انتصبَ قدري واقفًا داخل الشقة وهرعت إليه السيدتان والعجوز تهتف:

ـ أأنت بخير يا ولدي؟

ـ نعم سيدتي.. ولكن كما كنت أقول المكان ليس آمنًا.

تبادلت السيدتان النظرات في حين قالت هبة:

ـ تبقى نفس المُعضلة إلى أين نذهب؟

ـ ربما إلى أحد الفنادق.

قاطعها قدري:

ـ هذا ليس آمنًا أيضًا.. ولكن ربما أيةِ شقة مفروشة.

ـ إذًا فلنبحث عن واحدة.

ـ هذا ليس ضروريًا يا سيدتي.. أعلم واحدة في العمارةِ التي أقطن بها.

لم يعلم قدري لمَ قال هذا.. ولم يدرِ كيف ارتبط بعينيّ تلك العجوز المغربية، ولكنه شعر أنه لأولِ مرة هناك من يشعر بهِ وهناك من سيفهم مشكلته وربما سيساعده على حلها، حتى أن قدري نفسه لم يَعلم كيف اتصل بمكتبه وأخبرهم أنه سيذهب

إلى بيتهِ بعد المأمورية، وكيف كلَّفَ أنور ببعضِ المهام بعد أن طلب انتدابه من قسمهِ إلى المباحث، ولا كيف اصطحب المغربية وابنتها معه بالسيارة، ولا كيف ومتى قَبِل دعوتهما للعشاء؟!

كل ما أدركهُ أنه استمتع لأولِ مرة من فترةٍ طويلة بأجملِ وجبة منزلية منذ زمنٍ طويل، واستمتع أكثر بثرثرةِ العجوز والحديث الشيق لابنتها عن رحلتهما في البلاد العربية.

وما أن انتهى العشاء حتى اصطحبته العجوز حتى باب المنزل وفتحتهُ وقالت لقدري:

ـ ألم يأن الأوان لتصارحني بسرك؟

رد عليها قدري:

ـ كنت أتمنى.. ولكنني جربت أكثر من مرة ولم أجد تصديقًا من أحد

ـ جرِّب ولن تندم.

ـ ربما في وقتٍ لاحق فلقد حان موعد نومي وهو موعدٌ مقدس.

ـ إذًا سأنتظرك عندما تريد.

نزل قدري درجات السلم حتى وصل إلى شقتهِ ودلف داخلها وتوجه إلى غرفته وجهز نفسه للنومِ بعد أن خلع ملابسه واستلقى على سريره

وأغلق عينيه..

وراح في ثباتٍ عميق..

عميق جدًا.

ولكن تحت هذا الثبات بدأت حياة جديدة.

حياة يعيشها قدري بكلِ جوراحه.

حياة في عالمٍ آخر.

نيركا

فتح نيركا عينيه ليجد نفسه بجانب صديق دربهِ باماسي وَسط حقولٍ شاسعة من الخضرة التي تنتشر بها بعض الأشجار، كانا نيركا وباماسي يرتديان قطعًا بسيطة من القماش بدائي الصنع، في حين استقرَّ رمحان معدنيان بجانبهما وسيفان صغيران داخل جراب جلدي سميك.

كان باماسي منشغلًا بإطفاءِ النار التي أشعلاها بالليلِ للتدفئة، ولكنه شعر بصديقهِ فقال مبتسمًا:

ـ إنك تنام كالقتيل.

نهض نيركا من مرقدهِ وهو يرد:

ـ وكيف لا وأنا أعلم أنك تحميني؟

ذهب نيركا إلى أقربِ قناة مياه واغتسل سريعًا وشرب وملأَ وعائه الجلدي وهو يستعد للترحال، ثم عاد حيث ترك صديقهُ باماسي وقد انتهى من إطفاءَ شعلةِ النار وقد أعدَّ عدتهُ هو الآخر.

ـ أنا جاهز للرحيل.

هكذا قال باماسي عندما رأى نيركا.

ـ وأنا كذلك.

قالها نيركا وهو يرتدي سيفه ويمسك رمحه في يده وينطلق مع صديقهِ نحو وجهتهما.

ـ ألن تقول لي ماذا قالت لك العرافة؟

قال باماسي لنيركا الذي أجاب:

ـ قالت أنني سأوحد الثلاث قبائل.

ـ كيف وأنت لست أحد قادتها حتى؟

ـ تلك لم تكن من متطلباتِ المهمة.

هكذا قال نيركا وهو يُكمل مسيرته التي امتدت طوال اليوم مع صديقهِ ولقاء العرافة يتردد في عقلهِ وكلماتها ترن في أذنيه:

ـ أنتَ من تنطبق عليه الشروط.

ـ ستُضحي بجزءٍ من روحك لصالح القبائل.

ـ هكذا تقول النبوءة... لن يقضي على كائنات المجوم إلَّا صاحب حياتين يأتي لتوحيد القبائل.

ـ يجب أن تختار بين سعادتك وحياة كل من تحب.

كل تلك الكلمات أخذت تتردد في عقلِ نيركا طول مسيرته وهو يُفكر في الطريقة التي سيوحد بها القبائل التي قاتلت بعضها البعض لسنواتٍ طويلة.

والآن يجب أن يتحدوا.. كائنات المجوم لن ترحمهم.

ـ لقد وصلنا.

قالها باماسي بعد أن وصلا إلى ذلك المستنقع المظلم المليء بالأشجار الجافة والتي يبلغ عمق الماء بها حوالي نصف المتر وقد وصلت الشمس إلى مغيبها.

ـ هنا نفترق.

هكذا قال نيركا.

ـ لا أظن هذا.. نحن لم نفترق قط.

ـ الأمر مختلف هذه المرة.. يجب أن أجتاز هذا وحدي.

ـ نيركا.. لن أتركك لقد واجهنا معًا كل الصعاب ولن أتخلى عنك هذه المرة ثم إنك لن تستطيع ردعي.

ضحك نيركا:

ـ بل أستطيع ولكني لن أضيع مجهودي في قتالك.

ضحكا الاثنان قبل أن يرفعا رمحيهما ويبدئا رحلتيهما عبر المستنقع والتحفز يظهر على كل قطعةٍ من جسدهما، ولم يكادا يخطوان بضع خطواتٍ داخل المستنقع حتى بدأت مياه المستنقع الهادئة في التحرك سريعًا.

استلَّ باماسي ونيركا سيفيهما وهما يجريان مفترقين ونيركا يهتف:

ـ انتبه باماسي إنه هو.

ـ نعم بالتأكيد إنه هو ثعبان الدرنكون.

قالها باماسي وهو يجري عكس نيركا في شكلٍ يشبه نصف الدائرة حول تموجات الماء التي ما لبثت أن انشقتْ عن ثعبانٍ ضخمٍ يتعدى طوله الخمسة أمتار، في حين يصل عرضه إلى نصفِ المترٍ ويبرز نابان طويلان من فمهِ الضخم.

كان رد فعل الصديقين يدل على مهارةٍ وخبرة في المعارك والمغامرات، فليس فقط أنهما لم يفاجئا بالكائن الضخم بل أنهما بدءا بالهجوم عليه أيضًا؛ فبمجرد خروج الثعبان من الماءِ فاجأهُ باماسي بإلقَاءِ رمحهِ بسرعةِ الصاروخ لينغرس في جسدهِ الضخم، في حين انطلق نيركا نحو الثعبان ثم قفز بكل عزمهِ لينقضَّ عليه بسيفه، ولكن الثعبان تراجع بجسده ليتفادى سيف نيركا ثم يرتد في حركةٍ سريعة محاولًا أن يصيب نيركا بنابه، ولكن الأخير كان مقاتلًا بحق؛ فبمجرد أن لامست قدمه أرض المستنقع

حتى ارتفعت يده الأخرى بالرمحِ لتصدَّ ناب الدرنكون ثم غطس في المياه بجسده المفتول ليبتعَد بجسدهِ عن الثعبان بينما كان باماسي ينقضُّ بدورهِ على الدرنكون بسيفه، لكن الثعبان تفادى تلك الضربة أيضًا، ولكن باماسي قفز مرة أخرى بسيفه في حين انخفض نيركا موجهًا نصل رمحه إلى جسد الثعبان وأصابت الضربتين هدفهما؛ حيث أصاب السيف رأس الثعبان في حين انغرس الرمح ف جسده، ولكن الثعبان كان قويًا بحق؛ فلقد غطس في المياه مرة أخرى في حين برزَ ذيله من الماء ليضرب باماسي في صدره مطيحًا به أربعة أمتار إلى الخلف ليسقط في المياه.

ورغم أن باماسي شعر بالذيل كأنه قنبلة تنفجر في صدرهِ؛ إلا أنه كان يعلم أنهما فريسة سهلة للدرنكون في مياه المستنقع؛ فتحامل على نفسه واقفًا وهو يتحرك نحو صديقه ليقف الصديقان متأهبين وظهريهما متلاصقين يراقبان مياه المستنقع التي ما لبثت أن بدأت في الحركة من جديد.

ـ ها هو آت.. استعد

هكذا هتف نيركا بصديقهِ وهما يراقبان التموجات التي أخذت تقترب بسرعة حتى أصبحت على بعد مترٍ منهما فهتف نيركا:

ـ الآن.

هنالك انقضَّ الصديقان على المياه بسيفهما فتلون الماء باللون الأحمر ولم يتوقف الصديقان حتى طفت جثة الثعبان على السطح.

اقترب نيركا من الثعبان ثم قطع نابيه بالسيف ووضعه في جرابٍ جلديّ يحمله، ولم يكد يفعل ذلك حتى ارتفعت أصوات في السماء.

نظر الصديقان نحو مصدر الصوت قبل أن يقول باماسي:

ـ إنها طيور الصنار المفترسة.

أشار نيركا نحو كهفٍ يلوح في الأفق.

ـ هيا لقد اقتربنا.

أطلق نيركا وباماسي العنان لساقيهما تصارعان داخل المياه الموحلة للمستنقع وقد بدأت الطيور في الهجومِ عليهما.

ومرة أخرى يثبت الصديقان أنهما مقاتلان بحق؛ فقد أخذا يديران سيفهما رأسيًا حول جسدهما مطيحان بأي طائرٍ يقترب منهما وكثافة الطيور تزداد وهما يجريان بكلِ سرعتهما والكهف يقترب رويدًا رويدًا حتى وصلا إلى باب الكهف.. هنالك انقشعت غيامة الطيور.

وقف الصديقان يلهثان على باب الكهف ولكنهما فوجئًا بأنفاسٍ ساخنة تلسع ظهريهما وأصوات زمجرة تأتي من خلفهما من ظلام الكهف.

استعد باماسي بسيفِه المخضب بالدماء، ولكن نيركا استوقفه وهو يرمي بسيفه على الأرض ويقول:

ـ لقد وصلنا إلى كهف السلام ولن نقاتل.

ثم أشار إلى باماسي ليفعل المثل، ولكن باماسي تشبث بسيفِه أكثر، ولكن نظرة واحدة من عيني نيركا الذي يثق به جعلته يُلقي بسيفِه جانبا ونيركا يقول:

ـ لقد ألقينا أسلحتنا.

خرج من ظلام الكهف كائنٌ ضخمٌ يُشبه النمر ولكنه ضعف حجمه؛ فروته كثيفةَ جدًا والأسنان الحادة تلمع في فمِه بينما يبرز ناباه العلويان من فمه.

ـ اشْكر صديقك فقد أنقذ حياتك من أن يكون مصيرك كهؤلاء.

هكذا قال الحيوان الضخم موجهًا حديثه إلى باماسي مشيرًا برأسِه إلى كومة ضخمة من الهياكل العظمية الملقاة في أحد جوانب الكهف.

اتسعت عينا باماسي وهو يرى الكائن يتكلم ولكن لم يلبث أن تمالك نفسه وكرامة المحارب داخله قد جُرحت:

ـ ومن قال لك يا هذا أن ذلك سيكون مصيرنا.. ربما كنت أنت المُلقَى على ظهرِه إذا تواجهنا.

زمجر الكائن بصوتٍ عالٍ وهو يحرك رأسه بشكلٍ حاد نحو باماسي ولكن نيركا تحرك ليَحُول بينهما رافعًا يديه مهدئًا الكائن، لكن ناب الكائن أصابت يد نيركا لتتساقط قطرات الدماء على أرض الكهف.

ـ لقد جئنا في سلام.

قالها نيركا في حين تطايرت شظايا التحدي بين عيني الكائن وباماسي ونيركا يقول:

ـ كل ما نريده هو أن نمنع الفساد أن ينتشر.. أنت تعلم أن كائنات المجوم ستقضي على كل من يقابلها ولن تترك أخضر ولا يابس.

ظل الكائن ينظر إلى عيني باماسي في تحدٍ لبضعِ ثوانٍ ثم أشاح بوجههِ مستديرًا وهو يقول:

ـ وأنت تظن أنك يمكن أن تقضي على المجوم.

قال نيركا:

ـ أنا لا.. ولكن القبائل تستطيع إذا اتحدت.

ـ وأنت من ستوحدها؟

ـ سأموت وأنا أحاول.

هكذا قال نيركا فالتفت إليه الكائن:

ـ وما علاقةَ هذا بي؟

ـ أريد ماسة النجوم.

زمجر النمر بأعلى صوتٍ له:

ـ أنت تهزي يا هذا.

ـ لا.. وأعلم أنك ستساعدني فأنت تعلم أن المجوم إذا هزمت القبائل ستكون نهاية الحياة على كوكبنا هذا.

خيَّم سكونٌ على المكانِ والكائن يتحرك ذهابًا وإيابًا ويزمجر وهو يُفكر فقاطع نيركا تفكيره:

ـ أعدك أنني سأُعيدها عندما أنتهي.

أطلق الكائن زئيرًا هزَّ جدران الكهف.

ـ هل ستضمن حياتك بعد ما ستفعله؟

ـ للأسف لا.

تجوَّل الكائن يمينًا و يسارًا ثم وقف أمام نيركا مركزًا نظريه في عينيه

ـ هل تعلم لمَ سأساعدك؟

هزَّ نيركا رأسه:

ـ لا.

ـ لأن هذا ما انتظرته منذ زمن.. هذه هي وظيفة الماسة أن توحِّد البشر.. سأُساعدك وسأعطيك الماسة وسأعيدك إلى قبيلتك.. أنت من قبيلة ساج أليس كذلك؟

- نعم ولكنني لن أعود إلى القبيلة الآن فإنهم يطاردونني.. ولكن لديَّ مهمة بعد الماسة.

نظر إليه باماسي متعجبًا ولكن الكائن سأله:

- إلى أين تريد الذهاب إذًا؟

- قبيلة زنديون.. خيمة الأميرة نفسها.

اتسعت عينا باماسي في حين ارتسمت ابتسامة خبيثة على فمِ الكائن وهو يقول:

- هذه لعبة خطرة التي تلعبها يا هذا.. ولكنني سأساعدك.. الماسة لك وسأعطيك معها تنين السامو الصغير.. لكنه لن يساعدك.. هو فقط لِحماية الماسة وليعيدها لي بعد انتهاء المهمة.. والآن أَمسك يد صاحبك فستنتقلان إلى زنديون.

قالها الكائن ثم أطلق ضحكةً طويلة متراجعًا إلى الخلفِ مختفيًا في ظلامِ الكهف، في حين اقترب نيركا وباماسي وأمسكا يديّ بعضهما اَلبعض ولم تكد ضحكة الكائن تسكت؛ حتى خرج تنين صغير في حجمِ الصقر ومعه قلادة في منتصفها الماسة ووضعها حول رقبة نيركاَ ووقف على كتفه، وفي لحظةٍ واحدة تبدَل الكهف حول الصديقين؛ ليجدا نفسيهما في خيمةٍ بها شابة جميلة سمراء البشرة شديدة سواد الشعر ناعم ينساب بجانب

وجهها الملائكي وهي تنام على سريرٍ بدائيّ من أغصان الأشجار تُغطيه قطعة من القماش وتلبس قطعةً أخرى مثلها.

ـ ما الخطة؟

هكذا هتف باماسي ليقطع تأمل نيركا الذي كان يقف ثابتًا وعلى كتفهِ يقف السامو.

ـ سنخطفها.

حدَّق باماسي به وهو يهتف:

ـ ماذا؟! هل جُننت ستخطف أميرة زنديون؟

ـ نعم وسنجعلهم يتعقبونا أيضًا.

ثم تحرك نيركا نحو الأميرة النائمة وهو يهتف بباماسي:

ـ هيَّا قبل أن نثير جلبة.

لم يجد نيركا أي صعوبةٍ في إفقاد الأميرة وعيها بعد أن أيقظها،

بل لم يجد صعوبة مع صاحبه في إفقاد حراس الخيمة وعيهم؛ بعد أن فوجئوا بهم يخرجون من الخيمة ونيركا يحمل الأميرة على كتفٍ ويقف التنين على الآخر.

ولم يجدا صعوبة في التسلل عبر القبيلة النائمة في ظلامِ الليل وسرقة فرسين والانطلاق نحو الغابات.

ـ اتبعتك كل تلك المسافة بدون أن أسألك عن شيءٍ وأعتقد أن من حقي أن توضح لي ما خطتك على الأقل؟

قالها باماسي وهو يقود فرسه خلف نيركا الذي يحمل الأميرة أمامه.

ـ الخطة لن تعجبك.

ـ ربما نعدِّلها معًا.

ـ الخطة لا تخضع لأي منطقٍ أو عقل.

ـ ومنذ متى نخضع نحن لأيهما؟!

ـ هذه المرة باماسي يجب أن تتبعني بلا تفاصيل.. إمَّا أن تثق بي أو لا.

ـ لو لم أثق بك ما اجتزت معك الصعاب وما وقفت معك أمام الكائن.

ضحك نيركا ضحكة قصيرة ثم قال:

ـ أي كائنٍ تقصد؟

اقتضبت أسارير باماسي بضحكة نيركا وهو يرد:

ـ الكائن الذي تكلم معنا داخل الكهف.

ضحك نيركا مرة أخرى وهو يقول:

ـ وهل صدَّقت وجود ذلك الكائن؟

ـ ماذا تقصد؟

ـ إنه الساحر الأعظم وكل ما كان داخل الكهف هو وهم.

ـ أي وهمٍ ويدك ما زالت تنزف؟

ـ ربما أحدث الجرح بسيفه ولكن الكائن وهم.

أوقف نيركا فرسه في مكانٍ مليء بالأغصان ونزل وهو يقول لباماسي:

ـ سنبيت هنا الليلة.

جاء الدور على باماسي ليضحك وهو يقول:

ـ موعد نومك المقدس قد حان.

ابتسم نيركا:

ـ نعم صديقي.

نزل باماسي بدوره:

ـ استرح صديقي سأشعل أنا النار وسأوثق الأميرة وستجد طعامًا باكرًا عند استيقاظك.

نظر نيركا إلى باماسي:

ـ لا أعلم كيف كنت لأعيش بدونك؟

ـ لم تكن لتحيا صديقي ولكننا خُلقنا لنعتني ببعضنا البعض.

جهز نيركا مرقدًا سريعًا من أغصان الأشجار..

ووضع جسده..

وذهب في ثباتٍ سريع..

إلى عالمٍ آخر.

صراع الزملاء

جلس قدري بكلِ هدوءٍ أمام صديقه أكرم في مستشفى القصر العيني ليخيُط جرح يده، وأكرم يلبس البالطو الأبيض ويبدأ في تعقيمِ الجرح ويعطيه المخدر الموضعي فقال قدري مازحًا:

ـ ما زالت يدك ثقيلة.

فردَّ أكرم بكلِ هدوءٍ وهو يُكمل عمله بثبات:

ـ وأنت ما زالت حوادثك كثيرة.

ثم التقط الخيط من فوق فرشٍ معقم وهو يسأل:

ـ كيف أصبت بهذا الجرح هذه المرة؟

ـ كنتُ أُعد الإفطار فجرحت بسكينة المطبخ.

أكمل أكرم عمله بنفس الهدوء:

ـ حاول أن تحترم عقلي يا قدري.. هذا الجرح من نصلٍ حاد تم صده بسيف اليد.. على الأقل يمكن أن تقولَ

أنك جُرحت أثناء مواجهة مع متَّهمٍ ربما كنت لأصمت وقتها.

ـ حسنًا.. لقد حدث أثناء مواجهةٍ مع متهم.

ابتسم أكرم وقد انتهى من إغلاقِ الجرح ببعض الغرز الطبية:

ـ المرة القادمة سأُصر أن أحرر محضر بالواقعة.

وقف قدري يرتدي معطفه:

ـ لن أهون عليك.

ـ إنك تستغل صداقتنا أسوء استغلالٍ قدري.

ضحك قدري وهو يقول منصرفًا:

ـ أليس لذلك خلق الأصدقاء؟

ترك قدري صديقه ليُصلح الفوضى التي صنعاها وانطلق ليركب سيارته متجهًا إلى مديريةِ الأمن مباشرة.. وهناك وجد أنور في انتظاره على باب مكتبه.

دلف الاثنان إلى المكتبِ حيث وضع أنور ورقة أمام قدري وهو يقول:

ـ المعلومات التي طلبتها.

ألقى قدري نظرةً مطولة إلى الورقة ثم قال:

ـ إذًا هو في مصر.

أومأ أنور برأسه إيجابًا:

ـ نعم ابنهما في مصر يُدعى جان كيرلس منير.. مصري كندي مقيم بكندا ونزل إلى مصر منذ يومين.

ـ عنوانه في مصر؟

ـ نفس عنوان والديه.

اتكأ قدري على كرسيه:

ـ هو مختفي إذًا.

ثم نهض ليقف أمام النافذة ثم استدار جهة أنور وهو يقول:

ـ أريد معلوماتٍ كاملة عنه.. اتصل بسفارتنا في كندا أريد أن أعرف طبيعة عمله وصلاته وعائلته كل المعلومات التي تستطيع أن تأتي بها.

أدَّى أنور تحية عسكرية بشكلٍ تلقائي:

ـ تمام يا افندم.

ثم انصرف ليدخل العامل ومعه كوب القهوة ليضعه على مكتب قدري:

ـ ما زالت علامات الإرهاق تبدو عليك.

ابتسم قدري وهو يرد:

ـ لا تُشغل بالك بي إن ما بي مُزمنٌ ولن يتحسن بالزمن.

ـ أكره أن أراك هكذا.. وأكره أن أزيد مشاكلك ولكنك مُحول للتحقيق.

ازدادت ابتسامة قدري:

ـ مذكرة أيمن أليس كذلك؟

ـ لا أعلم لما يكرهك بهذا القدر؟!

ـ هو يعلم أنني أكفأ منه وأنني دائمًا أتوصل للجاني.

جاء دور العامل ليبتسم بخبثٍ وهو يقول:

ـ نعم بينما قضاياه تُقيد ضد مجهول.

ـ لا بأس يا عم عواض سأذهب للتحقيق باكرًا.. هل تعلم من سيُجري التحقيق؟

ـ أمام رئيس الشئون الداخلية ورئيس المباحث.

ـ اللواء نشأت؟

ـ نعم.

غادر عواض الغرفة بينما تلذَّذ قدري بالاستمتاعِ بقهوتهِ حتى انتهى منها وغادر المديرية بعدها ليقود سيارته متوجِهًا إلى أحد أحياء القاهرة الشعبية ويسير في شوارعها الضيقة حتى يصل إلى حارةٍ ضيقة؛ ليترك سيارته عند مدخلها ويسير بين بيوتها الضيقة حتى يصل إلى شقةٍ صغيرة؛ هي عبارة عن غرفةٍ واحدة معتمة إلَّا من ضوءٍ خافت يَصدر من لمبةٍ صغيرة تُغطيها الأتربة، في

حين تسللت أشعة الشمس الخافتة وقد اقتربت الشمس من مغربها من بين البيوت المتلاصقة لتكشف عن رجلٍ نحيل يجلس على مدخل هذا البيت ويُمسك سيجارته يلتهما بشراهة ولم يكد يرى قدري حتى ابتسم:

- قدري باشا أي ريحٍ طيبة ألقت بك إلينا؟

- بل هي ريحٍ خبيثة وأنت تعلم ما الذي يؤدي بي إليك.

أطلق النحيل ضحكة مجلجلة دوت في الحواري الضيقة ثم قال:

- مخزونك انتهى أليس كذلك؟

- نعم يا سليم.

- وأنا أيضًا.

ثم أطلق سليم ضحكة أخرى أو هذا ما كان ينتويه ولكن مع بداية ضحكته انتزعته يدا قدري من مجلسهِ لتلصقه بالحائط فهتف سليم:

- أنت تعلم أن مسدسك الميري لن يحميك هنا.

رد قدري بغلظةٍ:

- وأنت تعلم أن أحدًا من رجالك لن يجرؤ على التدخل من بعد ما رأوه المرة السابقة.

كان رجال سليم قد بدأوا في الظهورِ من بين البيوت يحملون أسلحة بيضاء وهراوات.. ولكن نظرة واحدة من قدري جعلت كل واحدٍ منهم يثبت في مكانه وصَاحَب هذا إشارة من يد سليم نفسه جعلت الرجال يتراجعون.

ترك قدري ملابس سليم الذي وقف يُهندم ثيابه وهو يقول:

ـ أصبحت سريع الغضب قدري باشا.. أنا فقط أمزح معك.

ـ إن ما بيننا تجارة فقط أنت توفر بضاعة وأنا أشتريها لا أكثر ولا أقل.

ابتسم سليم ابتسامةً خبيثة:

ـ ولكنها تجارة غير مشروعة.

ـ كلانا مخطئ سليم.. أنت تبيع المخدرات وأنا أشتريها.. وليس من مصلحة أحدنا تهديد الآخر؛ فأنت تستطيع الوشايةَ بي وأنا أستطيع القبض عليك.. والآن هات ما يكفيني لأسبوعٍ وها هي أموالك.

قالها قدري وألقى رزمةً من المالِ إلى سليم الذي التقطها وهو يتفحصها، ثم نهض متوجهًا إلى داخل المنزل ليُحضر لفةً ليلقيها بدورهِ إلى قدري.

ـ هل أفتحها؟

هكذا قال قدري لسليم الذي رد:

ـ لا تقلق قدري باشا.. كالعادة أجود أنواع الهيروين ستجدها عند سليم.

استدار قدري ليهم بالرحيل ولكنه وقف من جديد وهو يسأل:

ـ بالمناسبة يا سليم.. ألم تسمع بشخصٍ يؤجر رجال يتكلمون لغة إنجليزية أو فرنسية ويجزلٍ لهم العطاء؟

أطلق سليم ضحكة مجلجلة ثم قال:

ـ لغة هنا؟! ستكون محظوظًا لو وجدت أحدًا هنا يُجيد القراءة والكتابة.

ـ لا أتكلم عن هنا وأنت تعلم أين يمكن العثور على مثلِ هؤلاء الرجال.

سكت سليم لبرهةٍ ثم قال:

ـ أنا لم أسمع شيئًا عن هذا ولكن...

قاطعهُ قدري وهو يستدير مبتعدًا:

ـ سأنتظر ردك يا سليم وسأكون شاكرًا جدًا لك في المرةِ القادمة.

وبدون أن يلتفت استكمل قدري طريقه بين المنازل حتى وصل إلى سيارته، ولكنه فوجئ بأيمن يجلس على مقدمة سيارته في حين تقف سيارة أيمن خلف سيارة قدري:

ـ هذا هو المكان الذي تختفي به بالليل إذًا.

ـ أتتبعني يا أيمن؟

نهض أيمن من مجلسهِ متجهًا نحو قدري:

ـ ولكنني لم أستطع اللحاق بك بين البيوت.

ثم تأمل اللفة التي يحملها قدري:

ـ ما الذي تحمله؟

ـ هل تحمل إذنًا من النيابة سيادة الضابط؟

مدَّ أيمن يده محاولًا الوصول إلى اللفةِ التي يحملها قدري ولكن يد قدري كانت أسرع لتبعد ما يحمله.. في حين امتدت يده الأخرى لتقبض على معصم أيمن وتلويه بشدةٍ ليطلق الأخير صيحة مكتومة قبل أن يلوي قدري يده خلف ظهره ويدفعه ليجبره على الانحناء على مقدمة سيارته وهو يصيح في أذنه:

ـ لآخر مرة يا أيمن أحذرك ابتعد عن طريقي.

ثم أفلت معصم أيمن الذي تأوه بشدةٍ وتوجه نحو سيارته ليقودها مبتعدًا تاركًا أيمن ورائه يتناول نصيبه من كأسِ المهانة.. بينما انحنى على الأرضِ متأكًا على سيارته وذراعه تكاد تقتله من الألم وهو يتمتم:

ـ لن أتركك يا قدري.. أقسم لك لن أتركك.

ثم استجمع أيمن قواه لينتصب واقفًا ويدلف إلى سيارتهِ ويتناول جواله ويجري اتصالًا تليفونيًا ظهر به انفعاله الشديد وهو يتحدث عبر الهاتف:

- سيدي إنه يتردد على أماكنٍ مشبوهة.. لا سيدي لم أستطع اللحاق به.. لا لم أرهُ في نشاطٍ مشبوه.. سيدي إنه.. سيدي.. لا لا أستطيع إثبات شيء.. ولكنه يتردد.. وهو.. سيدي.. نعم.. نعم.. حسنًا يا سيدي.. سأحضر الدليل أولًا.. شكرًا سيادة اللواء.. في أمانِ الله.

ثم وضع الهاتف جانبًا وهو يتمتم مرة أخرى:

- ربما أفلَت هذه المرة ولكنك لن تفلت مني المرة القادمة يا قدري.

ظلَّ بركان الغضب يشتعل داخل أيمن وهو يقود سيارته بين شوارع القاهرة والجيزة حتى وصل إلى تلك الكافتيريا الفاخرة بالجيزة؛ التي تسمح بتقديم المشروبات الكحولية حيث التحق بمجموعةٍ من الشباب وما إن جلس حتى هتف أحدهم:

- تبدو كما لو أنك خرجت من مشاجرةٍ لتوك.

أشار أيمن إلى الساقي وهو يقول:

- مشروبي يا إسلام.

ثم استدار نحو صديقه:

ـ إنه قدري مرة أخرى.. هو فاسدٌ وأنا أعلم هذا ولكنه أضاع عليَّ فرصًا بالآلاف؛ عندما عرضت عليه أن يمرر قضية لرجل أعمال فرفض.

ـ لماذا لا تخرجه من حساباتك؟

سأله صديقه بينما كان النادل يضع المشروب أمامه ليحتسي أيمن منه رشفة ثم يقول:

ـ لا.. سأكشف فساده.. صورة الضابط الشريف التي يضعها يجب أن تُشوَّه.. يجب أن تعلم الإدارة جميعها أنه فاسد.

ثم يتجرع أيمن باقي المشروب دفعةً واحدة ليكمل بعد ذلك سهرته محاولًا نسيان ما فعله قدري به.. ولم يكن يعلم أن قدري نفسه لم يكن يضعه بحساباته وهو يصعد سلم بيته محاولًا بلوغ شقتهِ إلَّا أنَّه فوجئ بالسيدة العجوز تقف على درجات السلم:

ـ ما الذي أصاب يدك؟

ـ إنه جرحٌ صغير.. كسرتُ كوبًا أثناء تحضيري للشاي صباحًا.

تأمَّلت العجوز رباط الشاش وهي تقول:

ـ إنه ينزف دمًا.

نظر قدري إلى الغيارِ الممتلئ بالدماء:

ـ لقد قام الطبيب بتقطيبه ولكنها لويت مني أثناء القيادة.

توجَّهَت العجوز نحوه لتمسكه من يده وهي تصعد السلالم:

ـ تعالى معي ابنتي ماهرة في الاعتناءِ بالجروح.

حاول قدري أن يعترض، ولكن السيدة تشبثت بيدِهِ وهي تصعد درجات السلم بخطواتٍ رتيبة حتى وصلت إلى بابِ الشقة؛ ففتحتهُ ثم بدأت تُنادي على ابنتها التي ظهرت من إحدى الغرف.

ـ ماذا يا أمي؟

أشارت العجوز إلى يد قدري:

ـ إن جارنا يحتاج إلى عنايةٍ لجرحه.

أسرعت هبة لإحضار حقيبة الإسعافات الأولية.. في حين اصطحبت العجوز قدري لتجلسه على الأريكة.. وما إن جاءت ابنتها حتى انسحبت العجوز وهي تقول:

ـ اسمح لي فقلبي لن يتحمل رؤية الدماء.. سأذهب لأجهز كوبًا من الشاي.

ـ سيدتي هذا ليس ضروريًا سأعود إلى شقتي بمجرد أن ننتهي من الغيار على الجرح.

تدخلت هبة وهي تنزع الضمادة المليئة بالدماء:

ـ نحن لسنا بخلاء لهذا الحد هو مجرد كوبٍ من الشاي.

دلفت العجوز نحو المطبخ.. في حين انشغلت هبة بالاعتناءِ بالجرح.. في حين بدأت ملامح الألم تظهر على وجه قدري ولكن لوهلةٍ نسِيَ قدري جرحهُ وأنامل هبة تمر على جرحه.. في حين تمسك يد هبة براحةِ يد قدري وهي تحاول تنظيف الدماء ما بين القطب.. في حين سافرت عينا قدري بعينيّ هبة المثبتان على الجرح.

ـ جرح سكين أليس كذلك؟

انتزع سؤال هبة قدري من شرودهِ ليعيده إلى عالم الواقع:

ـ كوبٌ من الزجاج.

ـ استحالة هذه علامة نصلٍ حاد.

سكت قدري تمامًا في حين أكملت هبة عملها:

ـ إن والدتي مقتنعة تمام الاقتناع أنك تُخفي شيئًا.

ـ لكلٍ أسراره.

ـ لم أتعود منها أن تخطئ.. لقد عاشت لفترةٍ ليست بالقصيرة مع من تسمونهم سحرة صحراء المغرب.. وهي بالفعل تستطيع فعل أشياء لا أفهمها.

ـ أنا لا أؤمن بالسحر.

لم تُحرك هبة نظرها عن جرحِ قدري:

ـ لم أقل إنها ساحرة ولكنها خبيرة بعلومِ الميتافيزقا وعلوم ما وراء الطبيعة.

ابتسم قدري ابتسامةً ساخرة:

ـ عالم الأرواح.. لقد جربت هذا أيضًا.. وكل من يعملون به ولا تؤاخذيني فيما سأقول.. نصابون.

ـ لم أقل قط أنها تعمل بهذا المجال ولن أحاول إقناعك بوجودِ هذا العالم ولكنني لم أتعود منها أن تخطئ.

همَّ قدري بقول شيءٍ ولكن هبة قالت وهي تلملم أدواتها:

ـ لقد انتهيت.

في نفسِ الوقت الذي خرجت فيه والدتها من المطبخ وهي تحمل ثلاثة أقداحٍ من الشاي؛ تناولهُ ثلاثتهم وهم يتبادلون أطراف الحديث في حين غاصت عينيّ العجوز محاولةً اقتحام عقل قدري، ولكن قدري نفسه كان متعلقًا بعيني هبة؛ مستأنسًا لحديثٍ سلس يخرج عبر شفاهها ولم يشعر كيف مر الوقت بهِ ولم يشعر حتى كيف استأذن ووصل إلى شقته وإلى سريره، ولكنه ولأول مرة منذ الصغر يذهب إلى فراشهِ وهو لا يفكر في عالمٍ جديد..

بل يفكر بلحظةٍ جميلة..

وعينان ارتسما بعقله..

عيناها..

هبة.

الجنداي

ارتسمت ابتسامة على وجه نيركا وهو يفتح عينيه في تلك الغابة الكثيفة وأخذ نظره يجول بين الأشجار المتلاحمة حتى اصطدمت بتلك العينين رماديتين اللون وسَط ذلك الوجه الملائكي أسمر البشرة المحاط بشعر أسود كالحرير، ولم يُعكر صفو تلك الصورة الجميلة إلَّا تلك الأَغصان الصغيرة التي تُكبل يديها وقدميها، وقطعة القماش التي تُكمم فمها مما دفع نيركا من النهوضِ والتوجه إليها وعيناها تتابعانه ونزع الكمامة من على فمها وما إن فعل ذلك حتى قالت له:

ـ أين كنت؟

ـ كنت نائمًا.

ـ لا بل لم تكن معنا في هذا العالم.. أين كنت؟

تجاهلها نيركا وهو ينهض متراجعًا إلى مضجعهِ مرة أخرى.. ولكنها أكملت:

ـ ما هبة؟

اتسعت عينا نيركا:

ـ ماذا؟

ـ هبة لقد قلت تلك الكلمة وأنت تستيقظ.. هل هو اسم؟

ازداد اتساع عينيّ نيركا وهو يُحدق في تلك العينين الرماديتين وهو يتمتم:

ـ من أنتِ؟

قالت الأميرة بهدوءٍ:

ـ أنا زينورا أميرة زنديون.. لكن السؤال هو من أنت؟

ـ أنا نيركا محارب قبيلة ساج.

قالها نيركا في نفس الوقت الذي حطَّ فيه التنين على كتفه فابتسمت زينورا:

ـ أعلم أنك محارب من قبيلة ساج.. ولكن من أنت حقًا؟

ـ إذًا فقد استيقظت.

ارتفع صوتٌ من بين الأشجار في حين ظهر باماسي بجسدهِ الضخم ولكن لم يلتفت أي منهما إليه وظل كلاهما يحدق في الآخر فقال باماسي:

ـ أرى أنكما تعارفتما فيما بينكما ولكن أمامنا طريق صعب حتى ساج.

استمر الصمت يُخيم على المكان ونيركا وزينورا يُحدقان ببعضهما حتى قطعه باماسي مرة أخرى:

ـ يجب أن ننطلق حتى نصل ساج قبل الليل.

انتبه نيركا لقول باماسي وأخذ يُحضر نفسه للرحيلِ وهو يقول:

ـ نعم أمامنا طريقٌ طويلٌ ولكن ليس نحو ساج.. سنذهب رأسًا إلى قبيلة هنتارو.. نحو الجبال مباشرةً.

أطلق التنين صيحة.. في حين جاء الدور على زينورا لتتسع عيناها على آخرهما.. في حين ارتسمت علامات الدهشة على وجه باماسي لثوانٍ قليلة قبل أن يقول:

ـ لا بأس لقد عاهدتك ألا أناقشك.

أدارت زينورا عينيها نحو باماسي وهي تصيح:

ـ أنتما مجنونان إذًا.. فأنتما لم تكتفيان بخطفِ أميرة زنديون بل ستتوجهان بها إلى عدوٍ مشترك.. هل تنويان تسليمي لهم؟

قال نيركا:

ـ لا تقلقي.. فأنتِ لستِ طرفًا في هذا الموضوع.. ولكن باماسي محق يجب أن نتحرك على الفور.

ارتفع حاجب زينورا إعجابًا:

ـ إذًا فأنت باماسي الأسطوري.. الوحيد الذي دخل نار المجوم وخرج منها حيًا.

أخذ باماسي نفسًا عميقًا:

ـ نعم بلا فخرٍ لقد عُدت من الجحيم وأعتقد أن تلك الكائنات لم تكن سعيدة بوجودي معَها.

أطلق نيركا ضحكةً قصيرة:

ـ هذا هو صديقي قاهر المجوم.

ثم توجه نيركا نحو زينورا ليفك عنها الأغصان التي تربط ساقيها لتعتدل واقفةً وهو يستطرد:

ـ أرجو ألا تحاولي الهرب فنحن لا نضمر لكِ أي سوء.

في نفسِ الوقت الذي امتطى فيه باماسي جواده ممسكًا بلجامِ جواد نيركا ليقرِّبَه إليه، وما لبث أن امتطى الأخير جواده بينماَ جلست الأميرة أمامه وانطلق ثلاثتهم يشقون الغابة متوجهين نحو الجبال.. في حين حرص باماسي طوال الطريق أن يقطع بعض الاشجار بسيفه مما دفع زينورا أن تسأل نيركا:

ـ ما الذي يفعله؟

أجابها نيركا:

ـ إنه يترك أثرًا لقومك حتى يستطيعواااللحاق بنا.

ارتفع حاجبا زينورا دهشةً وهي تسأل:

ـ لماذا أتريدون دخول حربٍ مع جيشٍ بكامله؟

ابتسم نيركا ابتسامةً خبيثة:

ـ لا لن يحاربونا نحن.

ثم تغيرت نظرته للزعرِ وهو يصيح:

ـ باماسي احترس.

في نفس اللحظةِ التي تحركت فيها مجموعة أغصان من تحتِ جواد باماسي لتجبرهُ على الوقوع، وما إن لامس جسد باماسي الأرض حتى طار جسده في الهواء ليظلَّ جسده معلقًا في الهواءِ تحت الأشجار، بينما قفز نيركا من فوق جواده مستلًا سيفه تاركًا الأميرة زينورا وحدها فوق الجواد مما جعلها تسأل في فزعٍ:

ـ ماذا يحدث؟

أجاب نيركا الذي تركه تنين السامو ونظره يجول بين الأشجار بينما باماسي ما زال معلقًا في الهواء.

ـ إنهم الجنداي.

تمتمت زينورا:

ـ المختفون.

أتاها الجواب هذه المرة من بين الأشجار حيث ظهر نورٌ قرمزي خافت.

ـ بالضبط.

بدأ النور الخافت في التعدد؛ حيث ظهر أكثر من واحدٍ بين الأشجار، ثم بدأ أحدهم في التقدم وسرعان ما بدأ يتضح من خلال النور ملامح جسدٍ قرمزيّ لشيخ طويل الذقن يشع جسده بذلك النور القرمزي، بينما ظهرت شبكة من نفس الضوء حول جسد باماسي.

ـ إذًا فأنتم تعلمون أن الجنداي يسكنون تلك الغابات ومع ذلك سمحتم لأنفسكم باقتحامها.

هكذا قال الشيخ بينما هدأ تحفز نيركا قليلًا وإن كان لم يتخل عن سيفه.

ـ نعم ونطلب الإذن للسماح لنا بالمرور.

ـ كان يجب أن تطلب هذا قبل أن تدخل غاباتنا.

ـ هذا ليس وقت اتباع القواعد.

ثم نقل نظره نحو باماسي المدُلَّى في الهواءِ قبل أن يردف:

ـ نحاول إيقاف الهجوم.

ضحك الشيخ:

- ليس لنا أية علاقة بحربكم مع المجوم.. نحن نعيش في منأى عنكما ولن يستطيعوا التعرُّض لنا.

- نعلم هذا ولكن كنا نتمنى أن نُقدم شيئًا لكم في مقابلِ وقوفكم معنا.

ضحك الشيخ مرة أخرى:

- وما الذي يمكنكم تقديمه لنا ولا نستطيع نحن الوصول إليه؟

وما إن انتهى من كلامه حتى تناول نيركا من جرابه مادة لينشرها على سيفه ثم يستدير في حركةٍ دائرية ليصدم سيفه بحجرٍ صلب، وما إن تلامسا حتى انطلق شرر شديد واشتعل السيف، وما إن اعتدل نيركا حتى أطلق لسيفهِ العنان ليخترق الشبكة القرمزية التي تحيط بباماسي ونيركا يصيح:

- الآن باماسي.

انقطعت الشبكة القرمزية ووقع باماسي على الأرض إلَّا أنه أدار جسده في الهواءِ كالقطط؛ ليهبط على قدميهِ اللتين لم تكادا أن تلمسا الأرض حتى ألقى بجسده الضخم ليدور بجسدهِ على الأرض في نفسِ الوقت الذي تناول من حزامه مادة تشبه التي استخدمها نيركا؛ لينشرها على سيفه الذي استله وقبل أن ينهض

كان يصدم سيفه بحجرٍ صلب هو الآخر، ثم يستقيم ليحيط الشيخ القرمزي بذراعٍ في حين قرب السيف المشتعل من جسد الشيخ.

ما إن حدث هذا حتى اختفت جميع الأنوار القرمزية ما عدا الصادرة من الشيخ الذي أخذت أضوائه تهتز في عنفٍ.. في حين وصل نيركا إلى سيفه فاستله مرة أخرى ثم توجه إلى الشيخ المحاط بذراعي باماسي وهو يبتسم:

ـ نعم.. نعلم بنقطة ضعفكم.

ثم ازدادت ابتسامته:

ـ ونعلم أنكم تعلمون الحل.

هدأ اهتزاز أضواء الشيخ الذي توقف عن مقاومة ذراع باماسي الحديدية.

ـ ما الذي تعلمانه بالتحديد؟

ـ نعلم أن مصدر طاقتكم الذي يمكِّنكم من الظهور والاختفاء يتوقف تمامًا في وجودِ النار.

ابتسم الشيخ وهو يقول:

ـ أتعلم ما الحل إذا؟

تدخل باماسي في الحوار:

ـ إنها عين الطاقة.

ازدادت ابتسامة الشيخ التي تحولت إلى السخرية:

ـ أتعلمان أين توجد؟

رد باماسي:

ـ نعم نعلم.. لقد رأيتها بعينيّ.

وأردف نيركا:

ـ ونحن على استعدادٍ بإحضارها إليكم إذا ما وافقتم على الوقوف معنا ضد المجوم.

سكت الشيخ ليفكر ولكن نيركا أراد أن يضرب الحديد وهو ساخن ولم يمهله:

ـ سنعطيكم مصدر طاقة لتتمكنوا من الظهور لفتراتٍ طويلة ومقاوم للنارِ بشرط أن تحاربوا معنا.

نظر إليه الشيخ في شكٍ:

ـ لن نحارب معكم إلا من بعد أن نأخذ عين الطاقة.

ابتسم نيركا وكأنما حصل على مبتغاة:

ـ ستكون معنا في المعركة.. لا تظهروا أنفسكم إلا من بعد حصولكم عليها.

جاء الدور على الشيخِ ليبتسم:

ـ حسنًا بما أننا اتفقنا وحصل كلٌّ منا على مبتغاه فإنني أنصحكما باللحاقِ بأسيرتكما فلقد هربت من هذا الاتجاه.

ورفع ذراعه مشيرًا ما بين الأشجار في حين التفت باماسي ونيركا لينظرا في الفراغِ حيث كانت زينورا التي استغلَّت انشغالهما وهربت بفرسها.

ترك باماسي سراح الشيخ واقترب من نيركا الذي ظل يمد بصره ما بين الأشجار وهو يقول:

ـ إنها لا تعلم ما تورط نفسها به.

رد باماسي:

ـ خذ فرسي والحق بها وأنا سأتبع أثركما.

نظر نيركا إلى الشيخِ:

ـ أمرٌ أخير.. ستأتي قبيلتها بحثًا عنها أرجو أن تسمحوا لهم بالمرور.. فحربنا لن تكتمل إلا بهم.

ـ لا مانع من ذلك.

انطلق نيركا ليقفز فوق الجواد.. بينما حطَّ تنين السامو رفيقه الجديد على كتفه وانطلق الجواد يسابق الزمن للوصولِ للأميرة.. في حين أخذ الليل يهبط سريعًا ونيركا ينزل من على صهوةِ جواده

كل برهةٍ ليتتبع أثر الأميرة حتى سمع صرخة مرة واحدة؛ فوكز جواده ليزيد من سرعته ليقترب من مصدر الصوت، ولم يكد يفعل حتى فوجئ بزينورا تقف متأهبةً وفي يدها جزع شجرة في حين أحاطت بها خمسةِ أجساد من كائنات ضخمة من صخورٍ ملتهبة تَخرج ألسنة النار منها يبلغ طول الواحد منهم المترين، في حين يزيد طول ذراعي كل كائن فوق المتر لتنتهي بأصابعٍ طويلة تخرج منها مخالب حادة، في حين احتوت الرأس علىً ثلاث عيونٍ نارية؛ واحدة في منتصف الجبهة وعينان على جانبي الوجه، في حين زادت الأسنان الحادة من شراسةِ الوجه الذي احتلَّ الفم نصفه السفلي وما إن رآها نيركا حتى اتسعت عيناه في ذعرٍ وهو يتمتم:

ـ كائنات المجوم.

وقفت زينورا تُلوِّح بالجزعِ الخشبيّ بينما تقترب منها الكائنات، وما لبث أن تلامسَ جسد كائنين منهم، وما إن حدث هذا؛ حتى اشتبك الاثنين في تنازع عنيف على فريستهم مستخدمين الأيدي والمخالب وحتى الأنيأب وفي بعض الأحيان الأقدام لتتطاير شراراتِ اللهب منهما ويسقطان أرضًا، بينما استكمل الثلاثة الآخرين هجومهم إلَّا أن صيحةً من فم نيركا وهو يهجم عليهم بشجاعةٍ منقطعة النظير ويلوِّح بسيفه من بعيد وهو ينطلق فوق صهوة جواده، في حين تخلَّى عنه السامو كعادته في المعارك ليقف مترقبًا فوق أحد الأشجار؛ ليباغت نيركا الكائنات

ويقف فوق ظهر الجواد ثم يُطلق لجسدهِ العنان؛ ليطير في الهواءِ ويدور جسده دورةً كاملة ليصدم أقرب الكائنات لزينورا بقدميهِ في صدره الضخم ليدفع الكائن إلى الخلف في حين هبط هو على الأرض بين زينورا والكائنات التي وقفت غير مصدقة أن فردًا من بين البشريين يهاجمهم منفردًا لدرجة أن الكائنين المتنازعين توقفا عن معركتهما.

وتجمد المشهد لمدة لحظات.. زينورا تمسك بجذعها الخشبي ويقف أمامها نيركا بسيفه وأمامه ثلاثة من المجوم وخلفهم يرقد اثنان آخران يمسكان بعنقِ كل منهما الآخر وينظران لنيركا الذي سأل زينورا:

ـ أتعرفين كيف تقتلي كائنات المجوم؟

ـ وهل يعرف أحد؟!

ابتسم نيركا وهو يقول:

ـ نعم.. أنا وباماسي.. انظري وتعلمي.

بدأ المجوم يفيقون من صدمتهم وانطلقوا جميعًا صوب نيركا حيث وصل إليه أول كائنان؛ فأطاح أحدهما بمخالبهِ في وجه نيركا، إلَّا أن الأخير انحنى ليتفاداها وضرب الآخر بسيفهِ في بطنه لتنطلق ألسنة لهبٍ كبيرة، في حين وصل الثالث وحاول الوصول إلى نيركا كصاحبه ولكن نيركا راوغه ايديك ثم قفز ليهبط بسيفهِ على رأس الأول ليشقها طوليًا حتى العين التي في المنتصفِ ويقع

صاحبها أرضًا، في نفسِ الوقت الذي وصل فيه الاثنان المتنازعان ليصيب أحدهما نيركا بمخالبهِ في صدره بينما ركله الآخر بقدمهِ ليُطيح بنيركا في الهواء ويسقط بجانب زينورا التي نظرت إليه قائلةً:

ـ أرى أنك قتلت أحدهم ولكن خطتك لن تنجح.

ثم مدت يدها إليه لتساعده على النهوض وهي تقول:

ـ دعني أقدم لك المساعدة.

وقبل أن تُعطِي الفرصة لنيركا ليوافق أو يعترض انطلقت زينورا بجزعها الخشبي بمهارةٍ لتضرب أولهم بالجزِع في وجهه، ثم تنحني لتتفادى يد الثاني ثم تقفز لتوجه ركلة في بطن الثالث قبل أن ينقض الرابع عليها بكلتي يديه معتقدًا أنه حصل عليها ولكنها انزلقت من بين يديه ثم دارت على الأرض بجسدها لتنتصب أمام الثاني ثم تقفز لتضرب وجهه بالجزع الخشبي ثم تهبط بين الكائنات وهي تنظر إلى نيركا وتقول:

ـ أتحتاج دعوة ملكية للمشاركة؟

وكأن نيركا كان يحتاج بالفعلِ تلك الدعوة فقد انطلق بسيفهِ لينزل فوق رأس أقربهم إليه ليشقها نصفين؛ ثم ينضم إلى زينورا بين الثلاث كائنات قبل أن يُطلق لسيفهِ العنان ليخترق بطن كائن ثاني ولكن الكائن لم يبالِ بطعنته في حين انحنت زينورا متفاديةً مخالب أحد المجوم الثلاثة الباقين قبل أن يلتفت إليه نيركا

ويضربه بسيفه ولكن الثالث ركل نيركا ليرجعه إلى الخلف؛ في حين أطاحت يد الأول بزينورا لتسقط أرضًا بجانب نيركا.

أخذت زينورا تلهث وهي تقول لنيركا:

ـ هزيمتهم صعبة.

قال نيركا وهو يقف معتدلا:

ـ قضينا على اثنين باقي ثلاثة.. كل ما هو مطلوب أن نشق رؤوسهم.

هنالك بدأ المجوم هجومهم من جديد ولكن نيركا قفز متفاديًا أحدهم في حين تدحرجت زينورا إلى الخلفِ لتتفادى الثاني في حين دفع نيركا الثالث بقدميهِ ليسقط إلى الخلفِ؛ في حين انتبهت زينورا لتدفع أقرب الكائنات إليها نحو نيركا الذي استغل الفرصة وضربه بسيفهِ ليشقَّ رأسهُ نصفين ثم ألقى سيفه في الهواءِ نحو زينورا وهو يصيح:

ـ انتبهي خلفك.

قفزت زينورا برشاقةٍ لتلتقط السيف ثم تستدير وهي في الهواءِ بحركةٍ بهلوانية لتهبط بسيفها على رأسِ المجوم وتشقها نصفين في حين هجم آخرهم على نيركا الذي تفادى هجمتهُ ثم وجَّه ركلةً كالقنبلةِ إلى خلف ركبته لينحني أرضًا أمام زينورا التي لم تتوانَ عن ضرب رأسهِ بالسيف ليسقط آخر المجوم.

وقف نيركا وزينورا يلتقطان أنفاسهما ثم قالت زينورا:

ـ كيف تعلمت طريقة قتلهم؟

التفت إليها نيركا:

ـ بالتجربة.. عندما أخذوا باماسي إلى نارِ المجوم حاربت كي أصل إليه وحاربَ كي يهرب منهم ومن كثرة قتالنا معهم علِمنا كيف نقتلهم.

ثم مدَّ نيركا يده باسطًا إياها إلى زينورا:

ـ السيف إذا سمحتي.

ولكن زينورا أدارت السيف بمهارةٍ ثم رفعتهُ على عنقِ نيركا:

ـ قل لي سببًا يمنعني من قتلك والعودة إلى قبيلتي.

وضع نيركا يديه بجانبهِ وهو ينظر إلى عيني زينورا الرماديتين:

ـ لا أستطيع.. أنا فقط أحاول إنقاذك وإنقاذ أهلي وقبيلتي وقبيلتك وقبيلة هنتارو من خطرٍ يهدد وجودنا ولا أعلم إن كنت سأنجح ولكنني مستعدٌ للموتِ وأنا أحاول.

ثم اقترب من زينورا غير مبالٍ بالسيفِ الموجه إلى عنقه:

ـ أميرتي لقد خطفتك وصدقيني عندما أقول أنني أستطيع نزع السيف منكِ متى شئت ولديك كل الحق لتكرهينني ولكن هدفي سيكون أولًا وأخيرًا سلامتك.

مع آخرِ حروف كلماته لمح نيركا حركة ما بين الأشجار؛ فمدَّ يدهُ ليخطف السيف من يدِ زينورا ويقف متأهبًا لما سيخرج من بين الأشجار ولم يطل انتظاره فقد ظهر فارس ضخم الجثة حاد الملامح مفتول العضلات على صهوةِ جواده، ثم بدأَ المزيد والمزيد من الفرسانِ في الظهور تباعًا حتى أحاط نيركا وزينورا جيشًا صغيرًا من الفرسانِ وما لبث أن ظهر فارس أشيب ذو لحية كثيفة بيضاء ويحيط به عددٌ آخر من الفرسان.. وما إن رأته زينورا حتى هتفت:

- أبي.

نزل الملك من فوق صهوة جواده متوجهًا إلى زينورا في حين توجه الفارس الضخم نحو نيركا ومعه مجموعة من الفرسان ثم وجه نصل رمحه نحو عنق نيركا.

- ابنتي هل أنت بخير؟

هكذا قال الملك.

- نعم أبي إنني بخير.

ثم احتضنت والدها وما كادا ينفصلا حتى قال الفارس:

- أأقتله يا سيدي؟

ولكن زينورا تحركت لتقف أمام رمح الفارس أمام نيركا:

- جنزوا توقف.

ولكن جنزوا لم يخفض رمحه وهو يقول بحدةٍ:

ـ لقد خطفك ويستحق ما سيحدث له.

نظرت زينورا نحو والدها وهي تستعطفه:

ـ أبي.

نظر الملك نحو نيركا:

ـ جنزوا محق.. يجب أن يكون عبرةً لقبيلتيّ هنتارو وساج

ـ ولكنه لم يخطفني يا أبي.

ثم وقفت معتدلة وهي تقول:

ـ لقد تزوجنا.

خيمت الصدمة على المكان وصاحبها السكوت والكل ينظر نحو زينورا في دهشةٍ حتى نيركا نفسه لم يكن أقلهم دهشة، ولكن جنزوا قطع الصمت وهو يستل قوسه من فوق الفرس ويهبط به وهو يُطلق صيحة طويلة فوق رأس نيركا الذي غامت الدنيا في عينيهِ واهتزت الأرض من تحتهِ ثم سقط في عالمٍ آخر.

بائع الذهب

اخترقت صرخة مدوية قادمة من شقة قدري أذنيّ هبة التي استيقظت لتصلي الفجر.. صرخة ألم دفعتها لتفتح باب شقتها وتهبط السلالم سريعًا لتدق جرس شقّة قدري مرات عديدة ولم تمضِ بضع لحظات حتى فتح قدري باب الشقة.

كان قدري في حالةٍ يُرثى لها حيث كان العرق يُغطي جسده العاري إلَّا من قطعةٍ من الملابس الداخلية في حين تُغطي الدماء صدره في حين انهمرت قطراتٌ من الدماءِ من فروةِ رأسه وكان قدري نفسه منهكًا لدرجةِ أن قدميه لم تقويا على حملهِ فهرعت إليه هبة لتسنده وهي تقول:

ـ ما الذي حدث لك؟

أجاب قدري وهو يخطو خطواتٍ متكئًا على هبة نحو الأريكة:

ـ لا تقلقي سأكون بخير الآن.

استغرق لحظاتٍ من قدري حتى تهدأ أنفاسه وهرعت هبة إلى شقتها لتُحضر صندوقَ الإسعافات وتنزل سريعًا إلى شقته؛ لتجلس تُضمد جروح قدري فأوقفت النزيف من جرحِ الرأس ثم نزلت على جروح صدره الممشوق:

ـ هل قابلت مذئوبًا أم كنت تحارب وولفرين نفسه؟

أطلق قدري ضحكةً قصيرة أوقفها ألم صدره قبل أن يسود الصمت بينهما ولكن هبة قطعت هذا الصمت:

ـ إنها جروح غريبة والأغرب أنها تبدو مثل الحروق.

نظر قدري إلى عينيها:

ـ لا أرغب في الكذبِ عليكِ ولكني لا أريد شرح الأمر وفي نفس الوقت لا أَرغب في إغضابك.

نظرت إليه هبة وابتسامة مريحة تملأ وجهها:

ـ إنها حياتك يا سيدي إنما نتبادل أطراف الحديث ولن أغضب منك فقد أنقذت حياتي وحياة والدتي والفضول وحده ما دفعني لمعرفةِ سبب تلك الجروح الغريبة وكيف لم تفقد وعيك مع كل هذا الألم.

ابتسم قدري رغم جروحه:

ـ هذه نسختي الفاقدة الوعي إذًا.

ابتسمت هبة وهي تنهض تُلملم أشيائها بعد أن انتهت من تضميدِ جروحه وهمَّت بالرحيلِ ولكنها وقفت عند بابِ الشقة ونظرت نحو قدري:

ـ هل ستكون بخير؟

ابتسم قدري مرةً أخرى:

ـ أنا بخير لا تقلقي فهذه ليست أسوء حوادثي.

أغلقت هبة الباب خلفها وصعدت درجات السلم في خفةٍ ودلفت إلى شقتها لتجد والدتها في انتظارها.

ـ أين كنتِ يا بنيتي؟

ـ كنتُ عند جارنا لقد سمعت صوت صرخاته وعندما ذهبت إليه وجدته مجروحًا فضمدت جراحه.

ثم سكتت برهةً:

ـ إنه غريب يا أمي وجراحَهُ غريبة.. ربما كنتِ محقةً بشأنه.

ابتسمت والدتها ابتسامة الواثق:

ـ بالطبع محقة ولن أيأس قبل أن أعلم ما به.

قالتها العجوز ودلفت إلى غرفتها تاركةً هبة خلفها وبركان عاطفة يتفجر بداخلها.

لم تكن بجانبه فقط.

لقد لمسته.

شَعَرت بدقات قلبه وغاصت في عينيه

وشعرت بوحدته.

ـ إنه يبحث عنك.

قالها بلغةٍ إنجليزية ذلك الرجل البدين الأصلع الذي تنم كل قطعةٍ في مكتبه وحتى ملابسه على الثراءِ الفاحش في حين زيَّنت أصابعه قطعٌ من الحُليّ المرصع بأندرِ الأحجار الكريمة في حين جلس أمامه رجلٌ في العقد الرابع من عمره أبيضَ البشرة أشقر الشعر.

ـ من؟

ـ ذلك الضابط في المباحث الجنائية.

نهض الأشقر من خلف المكتب ليقف خلف نافذةِ الحجرة لينظر نحو حمام سباحةٍ فاخر يقع في الفيلا الفاخرة في المدينةِ الجديدة الواقعة على أطراف مدينة القاهرة.

ـ وكيف يعلم من أنا؟

رد عليه البدين من خلف المكتب:

ـ إنه لا يعلم من أنت حتى هذه اللحظة.. ولكنه يعلم أنك كنت موجودًا في موقع حادث مقتل والد جان ويعلم أنك بعثت للشهودِ لتقتلهم.

خيَّمَ الصمت على الغرفةِ قبل أن يسأل الأشقر:

ـ هل نقتله؟

ضحك الثري:

ـ إنك لا تعلم غير لغة القتل ستيفان.

ـ إنه عملي مستر صفوت.

ـ نعم ولهذا تم استخدامك للبحثِ عن جان وطلبوا مني مساعدتك.

أخرج صفوت سيجارًا فاخرًا من علبةٍ فضيَّة توجد على سطحِ المكتب وأخذ يُهذب طرفه وهو يقول:

ـ هناك طرقٌ أخرى ونحن لنا صِلات داخل أجهزة الأمن.

ثم أشعل سيجاره في هدوءٍ وهو يستطرد:

ـ هناك لغةٌ تكلفتها أرخص من لغة الدم.. هذه اللغة تدعى المال.

ثم ابتسم ابتسامةً واثقة وهو يتلذذ بسيجارهِ وباليد الأخرى تناول جواله ولم تمضِ لحظاتٍ قليلة حتى وضعه على أذنه وهو يقول:

ـ إبراهيم باشا.. نعم صفوت يا سيدي.. نعم لدينا خدمة نريدها منك.. نعم أحد ضباط إدارتك.. لا يا سيدي.. يُدعى قدري.. نعم هو.. هناك قضية يتولاها.. نعم قضية

قتل.. هو يحقق بها بشكلٍ ربما يُؤدي إلينا بطريقةٍ أو بأخرى.. نريدها أن تُسجَّل اقتحام وسرقة.. نعم إبراهيم باشا مستعدون للمقابل الذي تريده.

ثم أطلق ضحكة قصيرة:

ـ لا سيدي لا يوجد فصال هذه المرة.. الثمن الذي تُريده.. شكرًا إبراهيم باشا.

ثم وضع هاتفه جانبًا وهو يقول:

ـ لا تقلق لقد انتهى بحثه عنك.

التفت إليه ستيفان بهدوء:

ـ أنا لا أقلق أبدًا.. بل لا تقلق أنت فإن لم تنجح لغة المال هناك لغة صوتها أعلى وأجمل في الأذن.. لغة الرصاص أو كما سميتها أنت لغة الدم.

ثم أشاح بنظرهِ خارج النافذة..

وكأنه يبحث عن ضالته..

ضالته الذي قدم لأجله من كندا..

وكان اسم ضالته جان.

لاحقًا في ظهيرةِ ذلك اليوم خرج قدري من غرفة رئيس المباحث وعلامات الإرهاق الشديد مختلطًا بأقصى درجاتِ الضيق والألم تعتصر كل خليةٍ من قسمات وجهه وهو يتوجه إلى

مكتبهِ مباشرةً بخطواتٍ سريعة ولم يكد يدلف ذلك المكتب حتى أمسك جرح صدره والألم يعتصره من الداخل ولكن قبل حتى أن يصل إلى كرسي مكتبه تعالت أصوات طرقاتٍ على الباب قبل أن يدخل عواض:

ـ ما الذي جرى ياسيدي، كيف سار التحقيق؟

تجاوز قدري كرسيه محاولًا أن يُخفي آثار الألم التي تبدو على ملامحه من عينيّ عواض وهو ينظر من النافذة.

ـ ليس جيدًا يا عواض هذا اللواء نشأت لم يترك لي أي منفذ.

ـ إنه شديد قليلًا قدري باشا.

ـ بل كثيرًا عواض.

اقترب عواض ليُنظف المكتب.. في حين ظل قدري يراقب العاصمة من نافذته وما إن اقترب عواض حتى لاحظ تلك البودرة البيضاء التي تبعثرت حبيبات صغيرة منها وكأن أحدًا كان يحاول محو آثارها ولم يكد يلمحه قدري حتى سارع بالقول:

ـ أكاد أموت بدون فنجان قهوتك يا عواض.

لاحظ عواض ارتباك قدري فابتسم مشفقًا.

ـ سأسارع لآتيك بها.

ثم أدار ظهره ليفتح الباب ولم يكد يفعل حتى وجد أنور أمامه الذي دلف سريعًا.

ـ إن قصة جان كيرلس مثيرة.

أخذ قدري نفسًا طويلًا منهكًا ثم ألقى بجسدهِ على كرسي مكتبه ملتقطًا قطعة صغيرة من القماش الذي بدأ يمسح به زجاج مكتبه.

ـ أتعلم لم طلبت انتدابك من قسم الشرطة يا أنور؟

ـ لا يا سيدي.

ابتسم قدري ابتسامةً خبيثة غلب عليها الوهن وهو يقول:

ـ لأنك من خارج الإدارة وستكون على الحياد.. كل اهتمامك سينصب على القضية.

اقتضبت أسارير أنور وهو يفكر:

ـ إذًا هناك صراع آخر بجانب القضية.

ثم مال بجسدهِ نحو قدري وقال هامسًا.

ـ هل أنت متورطٌ بأمرٍ ما يا سيدي؟، صارحني وستجدني خير عونٍ لك بإذن اللهِ تعالى.. إن لي أصدقاء بأماكن لا يمكن أنٍ تتخيلها من المجرمين ومن الوزراء.

ازدادت ابتسامة قدري وهو ينظر نحو أنور:

ـ إنني أدخرك لوقتِ الشدة ولكن هذا ما كنت أود سماعه منك.

ثم أسند ظهره على مقعده:

ـ والآن هات ما لديك.

جاء الدور على أنور أن يبتسم وهو يعتدل واقفًا:

ـ جان ووالده لم يكونا بهذا الثراء طوال حياتهما.

ثم أخذ شهيقًا طويلًا وأردف:

ـ جان ووالده كيرلس كانا يعيشان في حي شعبيّ داخل شبرا وكان والده يمتلك محلًا صغيرًا لإصلاح الدراجات في ذلك الحي حتى تخرج جان من كليته بأعجوبة بعد أن رسب في آخر سنة مرة.

التقط أنور أنفاسه قبل أن يستطرد:

ـ ولكن هذا قبل أن يسافر جان.. في البداية سافر إلى تركيا ثم إلى إيطاليا ولكنه لم يوفَّق في المرتين، ولكن بعد أن عاد من إيطاليا سافر إلى أثيوبيا وكينيا ثم إلى كندا حيث أقام بها وبدأت ملامح الثروة تظهر على والده؛ حيث غير

نشاطه إلى بيع المشغولات الذهبية وجان نفسه حصل على الجنسية الكندية.

ـ ما كانت طبيعة عمل جان؟

هكذا سأل قدري.

ـ جان عمله غير معروف ولكنه يمتلك كافيتريا صغيرة في مونتريال ولكنها لا تفسر ذلك الثراء الذي ظهر على العائلة.

ارتفعت أصوات طرقاتٍ على الباب قبل أن يدخل عواض:

ـ مدير إدارة البحث الجنائى يطلبك.

انقبضت أسارير قدري وهو يتساءل:

ـ اللواء إبراهيم شلبي؟ ما الذي يريده؟

ثم نهض من خلف مكتبه وهو يقول لأنور:

ـ عملٌ رائع يا أنور هل هناك أية معلوماتٍ أخرى؟

ـ ليس بعد يا سيدي.

خرج قدري ومعه أنور من الغرفةِ والأول يُسرع في خطواته بينما يُغلق عواض الباب وراءهما وقدري يقول:

ـ حسنًا يا أنور استمر في جمع المعلومات وبلغني بالجديد.

قالها قدري وقطع الطرقة إلى مكتب مدير الإدارة بخطواتٍ واسعة حتى وقف أمام باب مكتبٍ كبير بآخر الردهة، ثم طرق

بطرقاتٍ منتظمة خفيفة قبل أن يأتيه الرد بالدخول، ففتح الباب ليجد نفسه أمام رجل أشيب نحيل طويل القامة يرتدي بدلة بوليسية تظهر رتبته على كتفيه وقف خلف مكتبه رامقًا قدري بنظرةٍ ثاقبة.

ـ صباح الخير إبراهيم باشا.

ـ صباح الخير يا قدري.

ـ لقد طلبتني.

جلس النحيل خلف مكتبه وهو يُشير إلى قدري بالجلوس:

ـ لماذا لم تخبرني بأنك كنت محولًا للتحقيق؟

ـ إبراهيم باشا.. إن الشكوى كانت من أحد ضباط إدارتك وكانت أمام اللواء نشأت رئيس المباحث فتخيَّلت أن لديك علم.

ارتفعت طرقات مرة أخرى على الباب فقال اللواء إبراهيم:

ـ ادخل.

فتح باب الغرفة ليدخل أيمن وسرعان ما توتر قدري وهو ينهض وينظر إلى اللواء:

ـ سيادة اللواء اسمح لي بالانصراف.

أشار له ابراهيم بالجلوس مرة أخرى:

ـ اهدأ يا قدري أنا الذي طلبت حضوره.

ثم أشار إلى أيمن بالجلوس:

ـ اجلس يا أيمن.

ثم أخذ نفسًا عميقًا وهو يقول:

ـ لا يعجبني ما يحدث بينكما.

ثم نظر نحو أيمن:

ـ لماذا لم تلجأ إليّ وقدمت مذكرتك إلى مدير المباحث مباشرةً.

ـ سيدي إن...

همَّ أيمن بالرد ولكن اللواء إبراهيم قاطعهُ مشيرًا بيده ليتوقف:

ـ أنا لم أطلب ردك ولا يهمني أسبابك ستخرج من هنا مباشرةً لتسحب مذكرتك وستتعاونان معًا في قضاياكما وهذا أمر.

نظر أيمن إلى قدري ثم قال:

ـ تمام يا سيدي عُلِم وينفذ.

ثم نهض وهو يقول:

ـ أتأمرني بشيءٍ آخر.

ـ لا يا أيمن اخرج أنت.

همَّ قدري بالنهوضِ ولكن إشارة من يد اللواء إبراهيم أوقفته:

ـ انتظر أنت يا قدري.

خرج أيمن من الغرفةِ وأغلقَ الباب خلفه.

ـ لماذا لم تلجأ إلي؟

ـ إن أيمن يتعمَّد مضايقتي.

ـ إنني أشعر أنني أُدير رياض أطفال وليس إدارة بحث جنائي.. لا أريد أن يتكرر هذا واترك أمر أيمن لي.

ثم أشار إليه بيدهِ للخروج فوقف قدري مؤديًا التحية العسكرية واستدار ليخرج.

ـ ما أخبار قضية الزمالك؟

فوجئ قدري بسؤال اللواء:

ـ لقد وصلت إلى خيطٍ وربما..

قاطعه اللواء إبراهيم:

ـ إنها قضية اقتحام وسرقة وقتل وأنت تُضيِّع وقتك.

انقبضت أسارير قدري:

ـ ولكن ابنهما مختفي.

ـ مخطوف؟!

ـ لا يا سيدي بل غير معلومٍ مكانه.

ـ هو ليس طرفًا في القضية إذًا.

ثم وقف من خلف مكتبه:

ـ أشرك أيمن معك وأريد أوراق تلك القضية على مكتبي في أقرب فرصة.

وقف قدري لا يدري ماذا يقول حتى انتزعته كلمات اللواء إبراهيم من صدمته:

ـ يمكنك الانصراف الآن.

وعلى الفور أدى قدري التحية العسكرية وانصرف مغلقًا خلفه باب المكتب ولم يكد يفعل حتى فوجئ بأيمن يقف متكئًا بظهرِهِ بجانب الباب وهو يقول له:

ـ أنا مستعدٌ لفتح صفحة جديدة معك يا قدري.

تخطاه قدري متجهًا إلى مكتبهِ عبر الرواق الطويل وهو يرد:

ـ وأنا لا أريدك أن تفتح صفحة جديدة كل ما أريده أن تبتعد عني

انطلق أيمن يلحق به وهو يقول:

ـ إننا نعمل معًا في نفس المكان ولن يكون من السهل تجاهل كلٍّ منا الآخر ثم انك تحتاجني لغلق قضية الزمالك.

تسمَّر قدري في مكانه ثم التفت إلى أيمن مقتضبَ الأسارير:

ـ إذًا أنت تعلم.

وقف أيمن بدورهِ والابتسامة تملأ وجهه:

ـ نعم لقد أخبرني اللواء منذ قليل.

سكت قدري بضع لحظاتٍ والأفكار تتلاحق في رأسهِ قبل أن يقطعها أيمن:

ـ ما الذي تفكر به؟

انبسطت أسارير قدري مرة أخرى وابتسامة مصطنعة ترتسم على وجهه

ـ لا شيء يا أيمن سيسعدني بالطبعِ مشاركتك أحد قضاياي إذا كانت الأوامر هكذا.

ثم استأنف طريقه نحو مكتبه تاركًا أيمن وهو يستطرد:

ـ ولكن هذا اليوم كان مرهقًا جدًا لي فلنلتقِ غدًا لأطلعك على المستجدات.

هتف أيمن:

ـ ولكن غدًا الجمعة.

ـ السبت إذًا يا أيمن.

قالها قدري ودلف إلى مكتبهِ ولم تمضِ لحظاتٍ حتى قرع جرس مكتبه ليدلف عواض سريعًا.

ـ أحضر لي أنور.. حالًا.

وخرج عواض ولم تمضِ الدقيقة حتى كان أنور يقف أمام قدري الذي قال له:

ـ إن أمر تكليفك في القضية ما زال ساريًا ولكنني لا أود أن أراك في المديرية منذ هذه اللحظة استمر في بحثك وأي جديد تصل إليه بلغني به عن طريق الهاتف.

ـ عُلِم وسينفذ.

ـ أمر أخير.. أريد اسم ورشة الذهب التي كان يتعامل معها القتيل.

ـ سيكون اسمها باكرًا بين يديك.

أشار إليه قدري بالخروج فأدَّى أنور التحية العسكرية وهو يخرج من مكتب قدري الذي خرج بدورهِ بعده مباشرةً متجهًا إلى سيارته وهو يخرج من المديرية متجهًا إلى شوارع القاهرة.

ظلَّ قدري يتجول بسيارتهِ في شوارع المدينة والأفكار تتخبط في رأسه

لم تكن القضية هي الشيء الوحيد الذي يشغل بال قدري بل كان ما يشغله أكثر طبيعة حياته التي يعيشها بين عالمين.

ومع ذلك يشعر بالوحدة لا أحد يستطيع أن يشرح له ما به.

لا أحد سيصدقه.

وبدون أن يدري وجد قدري نفسه يتجه إلى منزله، ولكنه لم يتجه إلى شقته.

اتجه مباشرةً إلى شقة هبة وقرع الجرس.

فتحت هبة الباب كعادتها بابتسامةٍ عريضة تملأ وجهها ولكن ابتسامتها اصطدمت بوجه قدري المتجهِّم الذي تكسوه علاماتِ الإرهاقِ والإعياء.

ـ أريد مقابلة والدتك.

تغيرت ملامح هبة وهي تفسح الطريق لقدري:

ـ بالطبع.. تفضل.

دخل قدري الشقة فوجد والدة هبة أمامه مباشرةً تجلس على الأريكة تنظر مباشرةً نحوه.

ـ سيدتي.. هل تستطيعين بالفعل مساعدتي؟

ـ ربما يا ولدي.. إذا ما علمت مشكلتك.

ألقى قدري بجسدهِ على كرسيٍّ أمامها.

ـ لا بأس يا سيدتي سأحكي لك.

اتخذت هبة هي الأخرى مقعدًا لتستمع إلى قدري الذي ظلَّ على مدار الساعة يحكي قصة حياته والذهول والدهشة يكتنفان كل خليةٍ من خلايا العجوز وابنتها لدرجة أن الصمت خيَّم على المكانِ تمامًا مدة تزيد عن الدقيقتين بعد أن انتهى قدري من كلامه حتى استطاعت العجوز أن تستجمع أفكارها وهي تسأل:

- أنت تشعر أن كلا الحياتين حقيقيّ؟

- نعم يا سيدتي.. بالنسبةِ لي عندما أنام يستيقظ نيركا وعندما ينام نيركا أكون قدري من جديد.. كل ما يحدث لنيركا يؤثر في جسد قدري والعكس صحيح.

عاد الصمت يُخيم على المكان مرة أخرى قرب الدقيقة قبل أن يقطعه قدري:

- سيدتي هل تستطيعين مساعدتي أم لا؟

أطرقت العجوز برأسها إلى الأرض:

- لا أعلم يا بني.. أنا لم أسمع في حياتي عن شيءٍ مثل هذا.. سمعت عن تعايش الأحلام.. أعني أن تختنق في الحلم وتستيقظ وأنت لا تستطيع التنفس ولكن حياتين...

ثم سكتت مرة أخرى مما دفع قدري إلى النهوض:

- لا بأس يا سيدتي.

قاطعته العجوز:

ـ هناك شخصٌ موجودٌ في مصر يستطيع التحكم في الأحلام.. يستطيع التحكم في ما تحلم به ولكن لا أعلم إذا كان يستطيع مساعدتك.

ـ أنا مستعدٌ لمقابلته.

ـ هو لا يقابل ضحيته أبدًا.. سأذهب إليه باكرًا لأرى إذا كان يستطيع مساعدتك.

ـ حسنًا سيدتي.. سأنتظر ردك ولكن جفناي يتثاقلان بشدة أعتقد أن نيركا بدأ يفيق من غيبوبته يجب علي الاستئذان.

قالها قدري واتجه إلى الباب ليفتحه ويهبط درجات السلم فنهضت هبة لتلحق به وهي تهتف:

ـ قدري.

التفت إليها قدري وابتسامة واهنة تسيطر عليه:

ـ نعم يا هبة.

ارتبكت هبة بعد أن أدركت أنها لأولِ مرة تناديه باسمه:

ـ أقصد سيد قدري.. إن حياة نيركا تلك تبدو خطر وكل ما يحدث له يؤثر بك.

ازدادت ابتسامة قدري وهو يتأمل ارتباك هبة:

ـ هذا ما يبدو.

ـ احترس لنفسك جيدًا.

هبط بعدها قدري إلى شقتهِ في حين اتجهت هبة إلى غرفتها، وطوال تلك الليلة أخذ القلق يعتصر قلب ووجدان هبة..

ولقد كانت محقة في قلقها هذا..

إلى أقصى حد..

مملكة الجبال

- ربما المجوم خطرٌ علينا ولكن هذا لا يعني التعاون أبدًا مع أعداءنا

قالها كبير وزراء قبيلة هنتارو داخل ذلك الكهف الجبلي لملك القبيلة.

- لم ينجح أي قائدٍ في التصدي للمجومِ ولم ينجحوا حتى في قتلهم حتى انقرضت القرى الصغَيرة ولم يتبقَ سوى الثلاث قبائل الكبرى.

ردَّ عليه ملك الهنتارو الذي تعدَّى طوله المترين أسودَ البشرة حاد الملامح حليق الرأس يستقر تاج ذهبي يتوسطه حجر كريم على رأسه وتظهر قوة بدنية عليه رغم أن عمره تعدى العقد الرابع في حين لم يكن كبير وزراءه بأفتحَ منه لونًا ولكن طوله كان أقرب إلى المترين.

- سيدي إن الجبال محصنة ولم ينجح أحدٌ في اختراقها منذ والدك الملك ريكار المعظم وقوتنا البدنية مشهودٌ لها وخير شاهد لهذا أننا اتخذنا من الجبالِ بيوتًا.

جلس ملك القبيلة على تلك الصخرة الضخمة التي نُحتت لتأخذ شكل عرش صخري بدائي الصنعة في حين زينته قطعة فرو ضخمة لكائنٍ مجهول:

- لقد وصلتني رسالة من قبيلة ساج من أحد محاربيها يُطالب القبائل الثلاث للوقوفِ في وجه المجوم محذرًا الجميع من ذلك الخطر الذي يُهدد بقاء جنسنا كله.

أطلق كبير الوزراء ضحكة مجلجلة مما أثار حفيظة الملك الذي بدت عليه علامات الضيق مما دفع كبير الوزراء للانحناء:

- سيدي الملك العظيم سوجدو.. لم أقصد التقليل من اهتمامك ولكنني أضحك من خوفِ ذلك المحارب على قبيلته مما اضطره إلى طلب العون منكم.

وقف الملك سوجدو مرة أخرى وظلَّ يتجول داخل الكهف الجبلي حتى قال له كبير وزرائه:

سيدي هل أُقدم لك اقتراحًا:

- قل يا هيجنزاي.

- نتحصن بالجبالِ وننتظر عما ستُسفر عنه المعركة.. إذا كانت الغَلبة لصالح الساج والزنديون انضممنا لهم، وإذا

كانت الغلبة للمجوم فسننتظر حتى تضعفهم المعركة وننتظرهم في جبالنا فطبيعة الجبال ليست بالسهلة ونحن قوم أُولِي بأسٍ وقوة؛ فإذا تعبوا من الحصار انقضضنا عليها وقطعناً رقابهم وأوصالهم ولنرى حينئذ إذا كان هذا يكفي لقتلهم أم لا.

وقف بعدها هيجنزاي ينتظر رد ملكه عليه ولكن لم يتلقَ إلا الصمت فتنحنح هيجنزاي:

ـ سيدي سوجدو.

نظر إليه الملك:

ـ هذا الأمر خطير هيجنزاي.

ثم جلس على عرشه الحجري:

ـ اتركني الآن هيجنزاي وشدد الحراسة على الجبال لا أريد أن أُفاجأ بالمجوم يجيثون خلال ديارنا.

انحنى هيجنزاي وهو يتراجع حتى خرج من الكهف الملكي إلى ذلك الممر الجبلي.. حينها انتصب واستدار مبتعدًا وعيناه تلمعان بين الصخور.

ـ أخيرًا اقترب حلمه من التحقق.

ـ لقد انتظر المعركة الكبرى طويلًا.

ـ سيحارب.. وسيبلي حسنًا وسيجعل القبيلة كلها ترى ذلك

ـ ولن يكون هناك شكٌ إذا مات الملك في المعركة..

ـ لن يكون هناك شكٌ أبدًا..

وعند هذه النقطة بالتحديد لمعت عينيه بشدة.. لمعة ملكٍ منتظر..

ـ إن الملك لن يتركه يعيش طويلًا.

قالها أحد الحارسين على القفصِ الخشبيّ حيث يتم احتجاز نيركا مقيدًا اليدين والقدمين فرد عليه الآخر:

ـ انظر لقد بدأ يستعيد وعيه.

كان نيركا بالفعل قد بدأ يفيق من غيبوبته وبدأ في محاولة التخلص من قيوده ولكن أحد الحارسين قال وهما يقهقهان:

ـ إن التخلص من قيود جنزوا مستحيل أيها المحارب.

فرد عليه الآخر:

ـ في الواقع يمكنك أن تعتبر نفسك محظوظًا لكونك حيًا حتى هذه اللحظة؛ فأنت لم تتزوج وتهرب بابنة الملك وحسب.. بل إنك قضيت على أمل جنزوا في أن يتزوجها ويصبح الملك القادم.

فقال له الآخر:

ـ فأنت لا تعدو الآن سوى عقبةٍ في طريق جنزوا فإذا هربت من عقابِ الملك فلن تنجو من سيف جنزوا.

ثم أطلقا ضحكةً مجلجلة:

ـ للأسف لن تستمر تلك الأوهام كثيرًا.

كذلك قال نيركا قبل أن يستطرد:

ـ سواء كنت حيًا أم ميتًا وسواء كان الملك في موقعهِ أو أصبح جنزوا ملكًا لن يكون هناك أملٌ للقضاءِ على الهجوم بدون اتحاد القبائل.

ـ أنت تهذي يا هذا أنت تعرف أن حروب القبائل مستعِرة منذ قِبل حتى مجيئنا للحياة واتحاد القبائل أمر مستحيل.

هكذا رد أحد الحارسين.

ـ إن الخطر يُحيط بالجميع.. بكما وقبيلتكما وبأسرتيكما.. وأنا لدي خطة.. أطلقا سراحي فربما كانت تلك الفرصة الأخيرة لبني جنسنا ليتخطوا تلك الأزمة.

ـ هذا لن يحدث فإذا حتى أطلقنا سراحك فلن يرحمنا الملك أو جنزوا

ومع آخرحروفِ كلماته انطلق حجر ليصطدم برأسِ الحارس قبل أن ينقضَّ باماسي على الآخرِ مسددًا لكمة صاروخية نحو وجهه لتنفجر الدماء من أنفهِ ويسقط بجانب صديقه مغشيًا عليه.

ابتسم نيركا من محبسهِ:

ـ أنت لا تدري مدى سعادتي لرؤيتك.

ابتسم باماسي بدوره:

ـ أعلم هذا.. ولكن لنتخلص من ذلك القفص أولًا.

قالها باماسي وهو يستل سيفه ويبدأ في تقطيعِ غصون الأشجار التي تربط أطراف القفص مع بعضها البعض حتى وصل إلى نيركا وحل وثاقه فنهض على الفور وسأل باماسي:

ـ كيف وصلت إلى هنا؟

ـ تتبعت أثرك.

أمسك باماسي بمعصم نيركا:

ـ هيا بنا نرحل قبل أن ينهض الجميع نحن وسط الجيش الزنديوني بكامل عدته وعتاده.

سحب نيركا معصمهِ من باماسي:

ـ لا يمكنني الرحيل بدون زينورا.

ـ إن فكرة الاقتراب من خيمتها تلك الليلة مستحيل وقد قاربت الشمس على البزوخ.

ـ بدونها لن يلحق بنا جيش زنديون.

أطلق باماسي زفيرًا طويلًا وقد أوشك صبره على النفاذِ ثم قال:

ـ حسنًا لقد عاهدتك على مجاراتك حتى نهاية الأمر.. أحضر عدتك ودعنا نتوجه إلى خيمة الأميرة.

تلفَّتَ نيركا حوله وأخذ يبحث في أرجاءِ المكان حتى قال له باماسي:

ـ ما الذي تبحث عنه؟

ـ أدواتي وسيفي والقلادة لا أجد أثرًا لهم.

ـ أين وضعوهم؟

ـ لا أعلم.. كنت فاقدًا للوعي.

ـ أضعت ماسة النجوم؟!

ـ كنت فاقدًا للوعي قلت لك.

تنهدَّ باماسي ثم نظر إلى الأعلى وابتسم:

ـ لديَّ فكرة.

ثم أشار إلى تنين السامو الذي يُحلق قريبًا منهم:

ـ فلنتبع التنين فهو لن يفارق الماسة.

انطلق صوتٌ أنثويّ خافت بجانبهما:

ـ لا داعي لهذا.. لقد أحضرتهم.

التفت الصديقان ليفاجآ بزينورا تقف بجانبهما وهي تمسك بحزامِ نيركا.

خيَّمَ الصمت على المكانِ للحظاتٍ قبل أن يُشير إليها نيركا وهو يصيح هامسًا محدثًا باماسي:

ـ إنها مجنونة.. لقد ادَّعت أنني تزوجتها.

اتسعت عيني باماسي بينما ابتسمت زينورا:

ـ ماذا؟!، أترفض؟

ارتبك نيركا وهو يقول:

ـ المسألة ليست لها علاقة بقبولي أو رفضي لقد كدتِ تقتلينني.

اقتربت منه زينورا:

ـ بل أنقذت حياتك.. فلولا أنني قلت هذا؛ لحُكمَ عليك الملك بالموتِ الفوريّ ولنفَّذَهُ جنزوا على الفور.

ـ ظلَّ نيركا يُحدِّق بعينيّ زينورا الرماديتين لفترةٍ حتى قاطعهما باماسي.

ـ كلامها منطقي نيركا.. ولكن لِمَ تساعدييننا الآن؟

ظلَّت زينورا تُحدِّق بعينيّ نيركا بتحدٍ وهي تقول:

ـ لأنني صدقتكما ولأنني ذكية وأعرف أن مواجهة المجوم لقبيلةٍ منفردة سيؤدي إلى هلاكها.

خفض نيركا عينيه وهو يأخذ حزامه من يد زينورا ويربطه حول خصره ثم يتقلَّد ماسة النجوم في حين قال باماسي:

ـ حسنًا لقد شققت طريقي عبر الجيش بصعوبةٍ للوصول لهنا، وأعتقد أن الخروج بالأميرة لن يكون سهلًا.. لذا أقترح أن نسارع في الخروج فقد بدأت أشعة الصباح في الظهورِ بالفعل.

ابتسمت زينورا مرة أخرى:

ـ لن نضطر أن نشق طريقنا وسط الجيش فقد أحضرت وسيلة نقل أسرع قليلًا.

ثم أطلقتْ صفيرًا عبر شفتيها ليظهر تنين من وسط الأشجار أكبر قليلًا من الحصان ويتجه نحو زينورا مباشرةً فرتبت الأخيرة على رقبتهِ وهي تقول:

ـ تنين الجوكوا.. هذا هو آخر واحدٍ من نوعه أهداه لي والدي.. وهو رفيقي منذ ولادتي.

ابتسم نيركا قائلًا:

ـ هذا جيد لم يبقَ سوى أمرٍ واحد.

ثم اتجه نحو أحد الحارسين الفاقدي الوعي وأخذ يهزهُ بعنفٍ، ثم سكب على وجههِ جراب الماء الذي كان معلقًا في خصرهِ وبالفعل بعد ثوانٍ قليلة بدأ الحارس يتأوه وهو يفتح عينيه بصعوبةٍ شديدة، ولم يكد يفتح عينيه ويجد نيركا ممسكًا به حتى مدَّ يدهُ محاولًا أن يستلَّ سيفه ولكن نيركا أمسك يده وقال له:

- اسمع يا هذا.. لديَّ رسالتان أريدك أن توصلهما.. الأولى للملك قل له إذا أراد أن يحصل على ابنته فليأتِ إلى الوادي الكبير ويأخذها بنفسه وليواجه جيش ساب إن استطاع.. الثانية لجنزوا قل له أن محارب ساج يتحداك شخصيًا.

ثم أطاح نيركا برأسهِ لتنفجر في وجه الحارس كالقنبلة وتعيده إلى غيبوبته.. فنهض نيركا على الفورِ فسألته زينورا:

- ما الذي تحاول فعله؟

- أحاول أن أستفز والدك وقائد جيوشه إلى أقصى حدٍ للحاقِ بنا.

ابتسمت زينورا وهي تقول:

- اعتبر نفسك نجحت في هذا.

ثم وثبت في قفزةٍ مدهشة فوق تنين الجوكوا ثم نظرت إلى باماسي ونيركا:

- هيًّا لقد طلع النهار بالفعل.

وبالفعل قفز نيركا وباماسي خلفها في حين تعلَّقَت زينورا بطوقٍ جلديّ حول رقبة التنين ووخزته بقدميها وهي تصيح:

ـ هيا.

ولم تَكَد تُطلق صيحتها حتى فَرَد التنين جناحيه على مصراعيهما وهو ينطلق مرتفعًا عن الأرض في حين طار تنين السامو بجانبهم.

لم تكن سرعة تنين الجوكوا بالكبيرة بل لم تتعدَّ سرعته سرعة جوادٍ منطلق، ولكن في الحقيقة كان على صهوةِ التنين شاب شعر لأولِ مرة بأن هناك من يصدقه.. من يؤمن بهِ..؟

أخيرًا وجدَ من صدَّقت حلمه بتوحيدِ القبائل وساعدتهُ في تنفيذه.. رائعة تلك الأميرة وقوية.. تمامًا كما كان يتمناها.

لم يدرك نيركا أن زينورا نفسها كانت هي الأخرى تطير من السعادة بعد أن وجدت أخيرًا من يسبح عكس التيار..

من يقف أمام ملوك القبائل في سبيلِ حلمه..؟

من كان مستعدًا للتضحيةِ بنفسه من أجل الآخرين..؟

محارب قبيلة ساج.. هو لم يستطع أسرها فحسب.. بل أسرَ قلبها أيضًا.

استغرقت الرحلة إلى منطقةِ الجبال معظم اليوم تخللتها بعض فترات الراحة والأكل.

والحقيقة أن ثلاثتهم كانوا في قمةِ السعادة من الرحلة.. لقد شعروا أخيرًا بقيمةٍ لحياتهم.. لقد شعروا أنهم يؤدون واجبًا تجاه بني جنسهم حتى لو أدَّى ذلك لمقتلهم.. جميعهم لا يكترثون لذلك الأمر..

أخيرًا وصلت الرحلة إلى حدودِ جبال الهنتارو مع بداية دخول الليل وطلب نيرَكا من زينورا أن تُوقف تنين الجوكوا على تلةٍ منخفضة نسبيًا فنفَّذَت طلبه ونزل الجميع.

وقف نيركا وهو يشير إلى أعلى جبلٍ أمامه:

- هنا كهف الملك سوجدو ملك قبيلة هنتارو.. كانت الخطة أن نتسلق أنا وباماسي الجانب المستقيم من الجبل حيث لن يتوقع أحدٌ هجومًا منه حتى نصل إلى كهف الملك ولكن في وجودِ تنين الجوكوا فلن تكون هناك مشكلة.

قال باماسي:

- الملك سوجدو العظيم بنفسه؟ تريد مواجهة ملك لم ينجح أحدٌ في هزيمته؟

- نعم.

نظر باماسي إلى زينوا التي سألت:

- وماذا بعد مواجهته؟

قال لهم نيركا:

ـ فلنترك ذلك لوقتها.

اتسعت عينا زينورا الرماديتين وهي تهتف:

ـ أنت بالفعل مجنون.. تريد مواجهة الملك سوجدو؟!

قال نيركا بهدوءٍ شديد:

ـ نعم تلك هي الخطة.

ابتسم باماسي وهو يقول:

ـ لن تكون تلك المواجهة سهلة.

ثم ازدادت ابتسامته أكثر وهو يقول:

ـ أنا معك.

ثم قفز باماسي على ظهر التنين.. هنا ابتسم نيركا وهو يقول:

ـ تُحب التحدي كعادتك.

ثم قفز خلفه وهو يقول:

ـ يمكنك انتظارنا هنا إن أردتِ أيتها الأميرة.

ولكن زينورا قفزت أمام باماسي وهي تقول:

ـ لم آتِ هنا لأنتظرك حتى تنتهي من معاركك.

ثم التفتت لتنظر إلى نيركا وهي تقول:

ـ وبالمناسبة أُدعى زينورا.

ثم نظرت أمامها وهي توكز التنين بكعبيها:

ـ هيا.. انطلق..

وبالفعل أطلق التنين صيحتهُ وطار منخفضًا حتى سفحِ الجبل الشاعق ثم طار بشكلٍ شبه رأسيّ وهو ينطلق إلى الأعلىَ حتى وصل إلى قمةِ الجبل.

هنا ألقى نيركا جسده في الهواءِ ليدور دورةً كاملة ليهبط على قمة الجبل وكذلك فعل باماسي وزينورا.

هبط ثلاثتهم في ممرٍ ضيق نهايته كهف الملك ويقف أمامهم خمسة حراس طول كلٍّ منهم حوالي المترين مع لونِ البشرة الداكن المميز لقبيلةِ هنتارو.

وما إن رآهم الحرس حتى انطلق ثلاثة منهم تجاههم وتأهَّبَ الاثنان الآخران للدفاعِ عن الملك.

استلَّ باماسي سيفه فنظر إليه نيركا:

ـ بلا دم باماسي.. لن نقتل أحدًا اليوم.

حدَّقَ به باماسي لوهلةٍ كأنما يعترض على قرارهِ ولكنه قطع غمد السيف من حزامه، ثم أغمد سيفه في غمدهِ وهو يمسكهُ منتظرًا الحراس بينما ظلت زينورا متمسكةً بسيفها فنظر إليها نيركا فابتسمت وقالت:

ـ لا تقلق.. لن أقتل أحدًا منهم.

في نفسِ الوقت الذي وصل فيه الحراس الثلاث إلى مهاجميهم فنزلت سيوف الحراس على أجساد نيركا وباماسي وزينورا.. لكن الأول انحنى ليتفادى سيف مهاجمهِ بينما تفادت زينورا نصل السيف ودارت بجسدها المرن دورةً كاملة لتجد نفسها خلف الحارس.. بينما رفع باماسي غمد سيفه الحديدي ليصدَّ بهِ سيف مهاجمه ولكن الحراس كانوا الأفضل في الهنتارو فشعر باماسي بالسيفِ يكاد يتحطم بيدهِ من هولِ الضربة التي تلقاها.. بل إن جسده خار قواه لولا أن ركَّزَ بركبته على الأرض.. بينما انطلقت ساق مهاجم زينورا لتستقبل هبوطها خلفه في ركلةٍ خلفية أطاحت بها المترين إلى الوراء.. بينما استقبلت رقبة نيركا يد الحارس الذي يهاجمه الذي تشبَّثَ برقبةِ نيركا الذي شعر بالهواءِ يجثو على صدره والدماء تخرج من عينيه ومن رأسه.حاول نيركا بكلِّ قوته أن يفلت من يد الحارس ولكن يد الحارس كانت صلبة كالفولاذ فاستجمع نيركا ما تبقى من قواه وبضربةٍ واحدة إلى معصم الحارس أفلت رقبة نيركا الذي لم يكد يتسلل الهواء إلى صدره حتى فوجئ بمعصم السيف ينفجر في أنفهِ ليلقيه على الأرض مرة أخرى والدماء تنفجر من أنفه.

استطاع باماسي النهوض مرة أخرى وتبارز بالسيف مع حارسه وكانت مهاراتهما شبه متساوية وسرعتهما أيضًا ولكن قوة الحارس الذي كان يُحاول قتل باماسي كانت أكبر.. بينما كان

باماسي يكتفي بالدفاع عن نفسه كما طلب منه نيركا حتى فوجئ بكوعِ الحارس ينفجر في وجههِ ويلقيه على الأرض.

نظر باماسي إلى نيركا الذي غطت الدماء وجهه وهتف:

ـ أما زالت الأوامر كما هي؟

ـ نعم باماسي.. بلا دماء.

نهضت زينورا من فوق الأرض وهي تحاول صد سيف الحارس وتفادي هجومه بحركاتها البهلوانية ولكن ضربات الحارس ازدادت قوة بينما بدا الإرهاق والتعب على زينورا.

حاول نيركا النهوض ولكن الحارس ألقى بجسدهِ عليه ليُحيط رقبته بساعدهِ وهو يُجبره على النهوض ثم يوجه نصل السيف إلى رقبته وهو يهتف بزينورا وباماسي:

ـ استسلما.. سأقتل زميلكما إن لم تفعلا.

نهض باماسي وهو ما زال ممسكًا بسيفهِ المغمد بجرابه بينما ظلت زينورا تحاول أن تستجمع أنفاسها المتلاحقة.

خرج الملك سوجدو من كهفهِ إثر الجلبة في الخارج.. ففوجئ بالمعركةِ ولكنه نظر إلى زينورا وقال لها:

ـ إنني أعرفك.. أنتِ ابنة ملك زنديون.

ثم أدار نظره بين نيركا وباماسي:

ـ وأنتما مقاتلا قبيلة ساج.

حاول نيركا بصوتٍ متحشرج أن يقول:

ـ لقد بعثت إليك برسالة.

فنظر إليه الملك سوجدو:

ـ إذًا فأنت من بعث الرسالة.

ثم أطلق ضحكة وهو يستطرد:

ـ ولكن هذا ليس بأسلوبِ من يطلب المساعدة.

بدأ صوت نيركا في الوضوحِ وهو يقول:

ـ خطر المجوم هو على القبائل جميعها فلا تغرنَّكم قوة أجسادكم ومهارتكم في القتال فإن أعداد المجوم أكبر من أن توقفوها وحدكم.

ثم ابتسم نيركا وهو يقول:

ـ ثم من قال شيئًا عن طلبِ المساعدة؟ أنا أتحداك شخصيًا.

انقبضت أسارير الملك سوجدو وهو يقول:

ـ تتحداني أنا؟

ثم أطلق ضحكةً مجلجلة هزَّت أرجاء الجبل وسط ظلام الليل.

ـ أتعي طلبك؟ أتعلم مع من تتحدث؟

ثم قال في زهوٍ:

ـ أنا الملك سوجدو العظيم كبير محاربي قبيلة هنتارو القوية والذي لم ينجح محارب في هزيمتهِ طوال تاريخه.

ضحك الحراس الخمس فازدادت ابتسامة نيركا وهو يقول:

ـ إذًا ليس لديك ما تخشاه إن كنت كما تقول.

استشاط الملك غضبًا بينما ظل باماسي وزينورا ينظران إلى بعضهما البعض حتى أشار الملك سوجدو إلى الحارس الممسك بنيركا ليتركه وهو يقول:

ـ حسنًا.. وأنا قبلت التحدي.

أفلت الحارس رقبة نيركا الذي ظلت الابتسامة على وجههِ وهو يقول:

ـ ليس اليوم أيها الملك العظيم وليس هنا.

انقبضت أسارير الملك سوجدو وهو يستمع إلى نيركا الذي أردف:

ـ سأنتظرك غدًا في الوادي الكبير وسأحضر معي تاجك.

تحسس الملك تاجه وهو يتساءل:

ـ تاجي؟

ازدادت ابتسامة نيركا المخضبة بالدماءِ وهو يقول:

ـ نعم تاجك.

وفي لحظةٍ واحدة استلَّ نيركا من حزامهِ تلك القارورة الصغيرة ليُلقيها على الأرض وهو يهتف:

ـ باماسي أحضر زينورا.

وما إن لمست القارورة الأرض حتى انفجرت بدويٍّ مكتوم وانطلق دخان كثيف منها ليملأ المكان.

وما إن انقشع الدخان حتى اختفى ثلاثتهم ووقف الحراس ينظرون إلى الملك الذي تحسس رأسه العارية والغضب يملأ عينيه لدرجةٍ أخافت حراسه أنفسهم وهو يصيح:

ـ حسنًا أيها المحارب سآتي إليك.

ـ وسأحضر جيشي كله.

ـ ولتجد مكانًا على وجهِ هذا الكوكب لتختبئ مني.

الصاغة

استقبلت هبة قدري بنظراتِ اللهفة والقلق وهو عائدٌ بعد صلاةِ الجمعة متكئًا على صديقهِ دكتور أكرم وأنفه تحتوي على ضمادتين قطنيتين تمنعان النزيف.

ـ هل أنتَ بخير؟

هكذا سألته هبة:

ـ إنني بخير.. وقعت على أنفي فكُسرت.

تغيرت نظرة أكرم وهو يقول:

ـ للمرةِ الأخيرة هذه ليست بصدمةٍ على الأرض ولكنها اصطدام مباشر ربما بهراوةٍ أو شيءٍ صلب.

ثم نظر إلى هبة وهو يقول:

ـ أكرم مرسي.. أخصائي الطوارئ بالقصر العيني.

ابتسمت هبة ابتسامةً مرحبة وهي تقول:

ـ هبة منصور.. جارة قدري الجديدة.

ـ أنت من اعتنى بجروحه؟، لقد أحسنت صنعًا.

وصل قدري إلى باب شقته ففتحه ودخل وألقى بجسدهِ على أول كرسي ودخلا وراءه هبة وأكرم الذي قال:

ـ لقد فعلت ما يُمليه عليَّ واجب الصداقة وأوصلتك حتى شقتك ولكن يجب أن أعود إلى عملي ف أصدقائي لن يتحملوا غيابي طويلًا.

أشار إليه قدري شاكرًا فالتفت أكرم إلى هبة:

ـ فرصة سعيدة يا سيدتي.

فابتسمت هبة كعادتها مجاملةً:

ـ بالفعل هي كذلك.

خرج أكرم من الشقة.. فالتفتت هبة إلى قدري:

ـ صعبة هي حياة نيركا أليس كذلك؟

قال لها قدري غاضبًا:

ـ لقد كسر لي أنفي هذا الحقير وقد كنت أحب شكل أنفي.

لم تتمالك هبة نفسها من إطلاقِ ضحكة قصيرة وهي تقول:

ـ إن هذا الحقير في الواقع هو أنت وأنت نائم.

اقتضبت أسارير قدري وهمَّ أن ينفجر في وجه هبة ولكن نظرته اصطدمت بوجهها الملائكيّ وابتسامتها البريئة فلم يتمالك نفسه هو الآخر من الابتسام.

ـ لقد ذهبت والدتي إلى ذلك الساحر الذي ذَكَرته.

ابتسم قدري والانهاك يكاد يهزمه:

ـ أنا لا أعوِّل كثيرًا على هذا.. ولكنه بابٌ فضلت طرقه.. فقد حاولت بشتَّى الطرق التخلص من حياتي الأخرى.

ثم نهض قدري:

ـ هل أُحضر لكِ مشروبًا أو ما شابه؟

شعرت هبة بالخجلِ لوجودها لوحدها في شقةِ قدري:

ـ بل سأصعد إلى شقتنا.

التفتت هبة بالفعل لتخرج من الشقة ولكن قدري قال لها:

ـ سأخرج بعد قليل.

ثم ارتبك قليلًا وهو يقول:

ـ كنت أتساءل.. أتودين الخروج معي إلى محلات الذهب وربما تناول الغداء.

ارتبكت هبة بدورها ولكنها أومأت برأسها إيجابًا ثم أغلقت الباب خلفها وصوت أقدامها تعدو على درجاتِ السلم مبتعدة يتعالى.

ـ شرفٌ لي مقابلتك صفوت باشا.

قالها سليم بجسدهِ النحيل القبيح وهو يجلس أمام صفوت بجسدهِ البدين خلف مكتبهِ.

ـ سمعت عنك الكثير سليم.

ـ ليس أكثر مما سمعته عنك.. كنت أتمنى مقابلتك منذ فترةٍ وأن أصبح أحد رجالك.

أطلق صفوت ضحكةً قصيرة ثم قال:

ـ سأختبرك أولًا سليم في هذه العملية..

ثم نهض بصعوبةٍ من خلف مكتبه فنهض سليم على الفور:

ـ قل لي يا سليم.. ما الذي سأل عنه ذلك الضابط مرة أخرى؟

ـ فقط سأل عن من يبحث عن رجالٍ يُجيدون التكلم بلغةٍ أجنبية.

جلس صفوت في الكرسي المقابل لسليم وهو يشير له بالجلوس:

ـ ما مدى معرفتك بذلك الضابط؟

ـ إنه يشتري مني تموينه من الهيروين منذ أكثر من عامين.

ـ ولم تحدث أية مشكلة في العامين في التعاملِ معه؟

هزَّ سليم رأسه نفيًا:

- ولا حتى مرة واحدة.. كنت في الأول متخوفًا في التعامل معه وكنت متخيلًا في كلِ مقابلةٍ أنه سينصب لي كمينًا.. ولكن بعد فترةٍ تأكدتَ أنه أدمن ذلك المُخدر ولا يستطيع الابتعاد عنه.

صمت صفوت ثوانٍ وعلامات التفكير العميق تبدو عليه ثم أشار إلى باب الغرفة وهو يقول:

- ستجد ستيفان في الخارج ينتظرك.. ستؤديان معًا تلك المهمة.. نصيحة لك لا تغضبه.. ولا تقلق من اللغة.. ستجد من يُترجم لك الأوامر غير أن عربية ستيفان ليست بالسيئة.

نهض سليم على الفور وهو يمد يده لمصافحة صفوت:

- بالطبع.. شكرًا لكِ يا سيدي.

نظر صفوت نحو يد سليم في تعالٍ، ثم نهض وتوجه نحو كرسيه بينما ظل سليم للحظاتٍ ممدًا يده قبل أن يخفضها ويخرج من باب الغرفة ليترك صفوت ليتم بعض الاتصالات.

جلست هبة أمام قدري في أحد المطاعم وهما يتجاذبان أطراف الحديث وكلاهما يشعران بالارتياحِ الشديد لبعضهما البعض وقد فرغا من تناول غداءهما ويحتسيانَ المشروب وابتسامة تملأ وجهيهما.

ـ لست متخيلة ما تقول قدري.

ازدادت ابتسامة قدري وهو يقول:

ـ صدقيني هذه هي الحقيقة.. كنت طوال عمري هكذا.. أنام بجانب والدتي لأصحو بجانب والدة نيركا وأذهب إلى المدرسةِ صباحًا لأجد نفسي أحارب سحرة وتنانين بالليل وأشكو بآلامٍ في ضرس نيركا ليعالجها لي طبيب عائلة قدري.

ـ لكن لا يوجد أي تفسيرٍ علمي لما تقول.

ـ أعلم هذا.. وأعلم أن هذا النيركا ليس في زماننا أو حتى في كوكبنا أو البعد الذي نعيش فيه ولكن معرفتي لن تُغير من الأمر شيئًا.. ما زال ما يحدث له يؤثر بي.

ثم نظر قدري نحو ساعته وقال:

ـ لقد تأخرنا لقد غابت الشمس وكنت أود الذهاب إلى ورشة للذهب.

ـ تتبضع؟

أطلق قدري ضحكة قصيرة:

ـ لا يوجد من بقِيَ من أهلي لأهاديه.. وكما ترين أعيش وحيدًا.

شعرت هبة بالإحراجِ الشديد لسؤالها ولكن قدري استكمل حديثه:

ـ بل هو جزءٌ من القضية التي كنتِ شاهدةً عليها.

ثم نهض قدري وهبة بعد أن دفع قدري حساب المطعم وتوجها إلى سيارة قدري.

ظلت سيارة قدري تتجول بين أحياء القاهرة حتى وصلت إلى أعتاب شارع الصاغة بقلب القاهرة القديمة.

نزل قدري وهبة وأخذا يتجولان عبر المحلات والورش التي انتشرت في شوارع ذلك الشارع الأثري التي تعالت به أصوات البهجة والزغاريط وتبهرج به اللون الأصفر وسط أجيج الزائرين.

وقف قدري أمام ورشةٍ للذهب بشارع جانبي، ثم دخل ليجد رجلًا ملتحيًا تعدى عمره الستين عامًا يجلّس خلف مكتبه ويقف بجانبهِ شابين ضخميّ الجثة ورغم قِدم المكان إلَّا أن قدري لاحظ وجود كاميرة مراقبة فوق باب صغير استنتج قدري أنه المدخل لورشةِ الذهب.

ـ نحن لا نبيع الذهب.. ستجد الذهب لعروسك في محلاتِ الذهب المنتشرة في الصاغة ولكن الورش تبيع للمحلات.

هكذا قال الملتحي فور أن رأى قدري وهبة التي كسا وجنتيها حمار الخجل.

ـ لسنا هنا للتبضع يا سيدي.

هكذا قال قدري وهو يبرز تحقيق شخصيته.

ـ لقد جئت لسؤالك بعض الأسئلة.

ألقى الملتحي نظرة سريعة ثم نهض من مكانه وهو يشير إلى هبة وقدري بالجلوس:

ـ تفضلا اجلسا.. أعتذر عن هذا الخطأ.

جلس قدري وهبة:

ـ لا داعي للاعتذار.. كنت أريد أن أسألك عن بائع مجوهرات وحُليّ تتعامل معه يُدعى كيرلس منير.

جلس الملتحي مكانه وهو يقول:

ـ نعم لقد سمعت بما حدث له.. ولكن ليس لي أي دخلٍ بهذا.

ـ ليس هذا ما أردت سؤالك عنه.. أنت تتعامل معه منذ فترةٍ طويلة.

ـ نعم سنوات.

ـ هل تأخر مرة في الدفع لك؟

ـ لا كان جيدًا جدًا في التعاملِ من الشق المادي ولم يحدث أي اختلاف بيننا وكان هو راضيًا عن مستوى الحُليِّ التي أصنعها مخصوصًا له.

أدار قدري عينيه في المكان سريعًا ثم عاد إلى الشيخ:

ـ هل كانت له طلبات خاصة؟

ـ لا.. لم يطلب شيئًا محددًا.. ولكنه كان يأتيني بلآلئ وأحجار كريمة في بعض الأحيان ويطلب مني وضعها في حليّ.

انقبضت أسارير قدري:

ـ أحجار كريمة؟

ـ نعم ومن أجود الأنواع وأحسنها وكان أيضًا يأتي لي بقطع من الماس ويطلب لي ترصيعها في سلاسل وحُلي كما ًحدث قبل وفاته مباشرةً.

انتصب قدري مرة واحدة:

ـ هل أَحضر لك شيئًا قبل وفاته؟

وقف الشيخ الملتحي بدوره وكذلك فعلت هبة.

ـ نعم.. بعض الماسات الباهظة وطلب مني صنع عقدٍ يحتوي على تلك الماسات.

ـ وماذا فعلت بذلك العقد؟

ـ لا شيء.. لم أنتهِ منه بعد.. سأسلمه لابنهِ غدًا عند الغروب.

اتسعت عينا قدري وهو يُحدق بالرجلِ غير مصدقٍ أن الحظ وقف حليفًا له هذه المرة.

لقد كان غاية أمله وهو يسأل عن الورشة؛ أن يعلم أي شيءٍ عن القتيل تؤدي للوصولِ لابنه ولم يكن يتخيل أنه سيجد نفسه أمام هدفهِ وجهًا لوجه.

ـ جان؟! هل جاء إليك؟

هزَّ الرجل رأسه نفيًا:

ـ لقد اتصل بي وأخبرته بميعاد انتهائي من العقد.

تجهم قدري للحظاتٍ وعلامات التفكير تبدو عليه حتى سأله صاحب الورشة:

ـ أتريدني ألا أسلمه إياه؟

ـ لا.. موعدكما كما هو غدًا وسأتواصل معك قبلها.

ثم نظر إلى هبة:

ـ هيا بنا.

صاحبته هبة إلى الخارج وشقَّا طريقهما وسط زحام الليل وبين بريق الذهب المتلألأ على جانبيّ الطريق.

ـ هل من المفترض أن أفهم شيئًا مما حدث في الداخل؟

ـ لا.. إطلاقًا ولكن يبدو أن قضيتكما على وشك أن تحل نفسها.

ثم ازدادت ابتسامة قدري وهو يمسك يدها بشكلٍ تلقائي:

ـ وقد أعطتني فرصة العمر التي كنت أنتظرها والتي ستغير مسار حياتي.

تسمَّرت هبة في مكانها مجرد أن لامست يد قدري يدها والتفتت إليه وغاصت في عينيه الحانيتين.

وللحظةٍ اختفت الدنيا من حولهما وتبددَ الزحام.

ـ إذًا فقد وجدت مجنونة أخرى توافق بك.

هكذا انطلق صوتٌ أنثوي بجانبهما ودوى في أذني هبة كالقنبلة التي التفتت لتجد شقراء ترتدي ملابس زاهية الألوان وتقف بجانبهما وتنظر إلى قدري والغضب يبدو عليها.

ـ سميرة؟

هكذا هتف قدري.

ـ نعم سميرة.

ثم نظرت نحو هبة نظرة متفحصة شملتها من شعرها إلى أصابع قدميها

ـ هذه هي العروس الجديدة إذًا؟

ثم نظرت إلى قدري:

ـ هل تشتري لها شبكة الزفاف؟

تدخلت هبة في الحوار:

ـ أنا لا أفهم..

قاطعتها سميرة:

ـ هل قال لك أن سمعته بالمديرية كلها سيئة جدًا؟ هل أخبرك أن لا أحد من إدارته كلها يعمل معه؟ هل قال لك أنه مرتشي؟ هل أخبرك أنه مضطرب نفسيًا؟ إنه يجرح نفسه بالليل.

هنا استشاط قدري غضبًا.

ـ سميرة.. كفى.

هزَّت سميرة رأسها في لا مبالاةٍ.

ـ ربما لم يستطع أحد إثبات شيءٍ عليك ولكن هذا ليس معناه أنك بريء.

أدارت هبة عينيها بينهما والذهول والصدمة يغلفانها ثم نظرت إلى سميرة:

ـ أنا لا أعلم عمَّ تتكلمين ولكنني لا أرى أي دخلٍ لك بالموضوع.

انطلقت ضحكة ساخرة من حنجرة سميرة التي قالت:

ـ في الواقع إن لي دخل كبير بالموضوع.

ثم نظرت إلى قدري:

ـ إنني زوجته.

هنا صاح قدري:

ـ قلت لك كفى.

شعرت هبة كما لو أن دلوا من الثلج سُكب على رأسها حتى الكلمات تحشرجت في حلقها وهي تقولَ:

ـ لقد فهمتي خطأ يا سيدتي لقد كنا فقط نتجول ولست عروسه.

ثم أخذت نفسًا بصعوبةٍ ثم استدركت:

ـ ويبدو أنني كالغريبِ بينكما الآن.. فاسمحا لي بالانصراف.

قالتها هبة ولم تنتظر لتتلقّى الرد فقد استدارت مبتعدة بخطواتٍ واسعة محاولةً أن تبتعد قدر الإمكان قبل أن تهزم دموعها رباطة جأشها.. في حين هتفَ قدري:

ـ هبة انتظري.. دعيني أشرح لكِ.

إلّا أنَّ يد سميرة قبضت على معصمهِ ومنعته من اللحاق بها:

ـ لماذا تهتم إذا لم يكن بينكما علاقة؟

سحب قدري يده من سميرة في غلظةٍ.

ـ ما الذي فعلتيه؟ ألم نتفق على أن يبتعد كل منا عن طريق الآخر؟

قالت سميرة في لا مبالاةٍ.

ـ لقد أنقذت تلك المسكينة من براثنك.

أطلق قدري زفيرًا حارًا يحمل كل انفعالاته محاولًا تمالك نفسه إلى أقصى حدٍ.

ـ ما الذي تريدينه يا سميرة؟

ـ أريد ورقة الطلاق.

ـ وأنا لم أمانع.. كان لدي بعض العمل وسأنتهي منه وستصلك ورقة الطلاق.

ـ أنت تقول هذا منذ أسابيع.

ـ كنت مشغولًا في تلك الأسابيع وستصلك ورقة الطلاق خلال أيام.

ساد الصمت بينهما وسط زحام الصاغة فبادر قدري بالسؤال:

ـ أتريدين شيئًا آخر؟

هزَّت سميرة كتفيها بعدم اكتراثٍ:

ـ منك؟ طبعًا لا شيء آخر.

ـ إذًا فقد انتهى الحوار بيننا عند هذا الحد.

انطلق قدري بعده بين زحام السوق وعينيه تجوبان بين المارة تبحث عن هبة.

تلك الإنسانة الرقيقة التي عرفها..

الوحيدة التي صدقته..

يريد أن يشرح لها حقيقة إحساسه..

يريد أن يقول لها أنها شيءٌ آخر..

وأنها الشخص الذي يريد قضاء بقية عمره معه..

هي من كان يبحث عنها..

وصل قدري سيارته والدماء تغلي برأسِ والصداع يكاد يفتك برأسه

وما إن دلف داخل السيارة حتى قال لنفسه:

ـ لم يبقَ إلا مشوارًا أخيرًا يجب أن يُنفذ اليوم.

لم تمضِ ساعة حتى كان قدري يقف أمام سليم أمام ذلك البيت المتهالك في الحارةِ الضيقة المظلمة.

ـ يجب أن تخفف استهلاكك قدري باشا.. أصبحت تستهلك كميات كبيرة.

ـ أنا لم آتِ لشيخ ولا واعظٍ حتى تنصحني.. أريد ما لديك من بضاعةٍ وغلِّفها بصمتك أكون أكثر من شاكرٍ.

أطلق سليم ضحكة مجلجة وهو يقول:

ـ أصبحت حاد المزاج قدري باشا والهالات السوداء تُحيط بعينيك.. أنا أقصد مصلحتك.. أنت تقتل نفسك ولا أريد أن أخسر زبونًا جيدًا.

ـ أعطني ما لديك وكفى ثرثرة.

قام سليم وتوجَّه داخل البيت ليخرج بلفافتهِ ويأخذ مثلها من قدري مليئة بالمال وبعدها استدار قدري مغادرًا.

ـ لقد وجدت ما تبحث عنه قدري باشا.

التفت قدري مرة أخرى نحو سليم الذي استطرد:

ـ وجدت من يبحث عن أشخاص يتحدثون لغاتٍ أجنبية.

اشتعلت الحماسة في قلب قدري وهو يسأل:

ـ من هو؟

ارتسمت ضحكة ساخرة على شفتي سليم:

ـ لا تقلق هو أيضًا يبحث عنك.

ثم ازدادت ابتسامته:

ـ وسيجدك لا تقلق.. وأتمنى لمصلحتك الخاصة أن تتمتع بقدرٍ من الذكاء في حينها.

ثم تحولت الابتسامة إلى ضحكةٍ:

ـ هذا إن كنت تُقدر الحياة.

وكان هذا معناه أن منذ هذه اللحظة أصبح كل لاعبٍ يعلم عدوه..

وستبدأ اللعبة الحقيقية..

لعبة الحياة والموت..

العرافة

وقف نيركا وباماسي وزينورا يجمعون أغراضهم وهم يستعدون لرحلةٍ أخرى وذلك أمام كهفٍ صغير في ربوةٍ قريبة من مملكةِ الجبل.. في حين انشغل باماسي بإطفاءِ النيران التي أوقدوها للتدفئةِ في بردِ الليل ووقف نيركا ليضع ماسة النجوم حول رقبتهِ.. بينما وضع تاج الملك سوجدو في جرابٍ جلدي معلقٍ بحزامهِ ووقفت زينورا غير بعيدةٍ منه تعتني بتنينها الجوكوا ثم تمتمت بغضبٍ:

ـ باماسي أحضر زينورا.

نظر إليها نيركا وعيناه تحملان علامة استفهام فردَّت مرة أخرى بصوتٍ أعلى:

ـ باماسي أحضر زينورا.

ثم تركت الجوكوا واتجهت لتواجه نيركا بعينيها الرماديتين:

ـ أنت قلت هذا.. كما لو أنني فتاةٌ صغيرة أو غرضٌ ما ليحضره.

ثم استدارت عائدةً إلى تنينها بينما غلَّفت الصدمة مشاعر نيركا إلَّا أن زينورا استدارت مرة أخرى لتعود لتواجهه وهي تقول في غضبٍ:

ـ لماذا لم تطلعني على الخطةِ منذ البداية؟

ـ أي خطة؟ لم تكن هناك خطة.

ـ أنتما لم تتفقا على أي شيءٍ قبل الهجوم على ملك الهنتارو!

ـ بالطبع لا.. هل تخيلتي أن خطتنا أن نتعرَّض للضربِ المبرح ثم نهرب؟!

ثم ابتسم نيركا وهو يستطرد:

ـ لم نكن نتخيل قوة حرس الملك بل ظننا أننا سنهزمهم بسهولةٍ وندخل كهف الملك ونسرق التاج.. ولكننا ارتجلنا عندما وجدنا أنفسنا بهذا الموقف وباماسي يفهمني بدون كلمةٍ واحدة؛ فقد تربينا معًا وخضنا معارك لا حصر لها معًا ولهذا طلبت منه التحرك وسط الدخان وإحضارك والقفز نحو التنين بينما أحضر أُنا التاج.

ثم ضحك نيركا:

ـ لقد تخيلتي بالفعل أن ما حدث كانت خطة.. لا أصدق هذا..

شعرت زينورا بإحراجٍ شديد بعد ضحكة نيركا في الوقتِ الذي اقترب فيه باماسي منهما وقد انتهى من عمله:

ـ ما الخطوة التالية نيركا؟

أجاب نيركا:

ـ في الواقع الخطوة التالية لن تعجبك باماسي.

ـ كل ما فعلناه حتى هذه اللحظة لا يعجبني ولكنني أقسمت لك على الطاعة حتى انتهاء المهمة أو نهاية حياتنا.

ـ حسنًا يجب أن نُحضر عين الطاقة.

ابتسم باماسي كعادته في تعاملهِ مع نيركا:

ـ هذا ما اتفقنا مع الجنداي عليه.

ـ أتعلم معنى هذا؟

ـ نعم أعلم.

ثم أخذ باماسي شهيقًا طويلًا وأطلقه مرة واحدة ثم قال:

ـ هذا معناه أننا سنعود إلى نارِ المجوم.

أطلقت زينورا صيحةً مكتومة أتبعتها بصراخٍ:

ـ سنعود إلى أين أيها المخبولان؟!

ابتسم نيركا هذه المرة:

ـ هذه المرة لن تكوني معنا مهما أصرَّيتِ زينورا.

اقتضبت أسارير زينورا:

ـ قلت لك من قبل...

قاطعها نيركا:

ـ لا يهم ماذا قلتِ أو ماذا قلت هذه المهمة يمكن أن تكون بلا عودة.. سنذهب معًا حتى الوادي الكبير لكن نار المجوم شيءٌ آخر.

ثم استدار متجهًا إلى تنين الجوكوا بينما حط تنين السامو على كتفهِ كالمعتاد ونيركا يستطرد:

ـ وهذا آخر كلام في هذا الحديث.

وكالعادة أيضًا تتبعه باماسي بخطواتٍ هادئة بينما وقفت زينورا والغضب يجري في عروقها للحظاتٍ حتى امتطى الصديقان تنينها؛ فقفزت بمرونةٍ على صهوة التنين ووكزته بقدميها بقوةٍ جعلته يُطلق صيحة وينطلق محلقًا في الهواء.

بدأت رحلة جديدة على متن الجوكوا.. رحلة غلَّفَها الصمت وحملت في طياتها الحب الذي ظهر في عينيّ نيركا التي تركزت

على زينورا متمنيةً أن تنطق بما يجول في خاطره.. ما تمنى أن يجدهُ طوال عمره وجده الآن في وسطِ مغامرةٍ يمكن أن تودي بحياته.. ولكنه لن يسمح لنفسه بتعريضها للخطر..

إلَّا هي..

لن يسامح نفسه أبًدا إذا ما حدث لها مكروه..

سيحميها وسيفي بوعدهِ لها أن تكون سلامتها هي أولويته..

ها هم اقتربوا من الوادي الكبير..

وها هو يشير إلى مكان هبوطهم..

وها هي ذات العينين الرماديتين والشعر الأسود تمتثل في هدوءٍ وسكونٍ

ويهبط الجوكوا ويترجَّل راكبيه ويقف نيركا قائلًا:

ـ هنا ستكون المعركة.. هنا سيتجمَّع الثلاث قبائل ويقاتلون المجوم..

ثم اتجه ببصرهِ أسفل الوادي:

ـ وهناك هي بوابة المجوم المشئومة حيث يتجمَّع جيوشهم وينطلقون لتدمير قرى البشر.

خيَّم الصمت على المكانِ للحظةٍ قطعها باماسي:

ـ وهناك عين الطاقة.

أومأ نيركا برأسه إيجابًا:

ـ مواجهة المجوم لن تكون سهلة ووجود الجنداي في صفنا سيكون نقطة تفوق.

ـ والجنداي لن يستطيعوا مواجهة تلك الصخور الملتهبة المدعوة بالمجومِ بدون عين طاقةٍ تمكنهم من الظهور والاختفاء.

وللمرةِ الثانية يومأ نيركا برأسهِ موافقًا:

ـ بالضبط باماسي.. بدون تلك الميزة عدد المجوم سيتفوَّق على محاربي الجنداي وعلى أيةِ قبيلة تقف أمامهم منفردة.

ـ سنعود إلى نار المجوم إذًا.

ثم استدار باماسي مبتعدًا خلف عددٍ من الأشجارِ وهو يقول:

ـ اسمح لي صديقي بلحظاتٍ مع نفسي فالعودة إلى ذلك الجحيم لن يكون سهلًا وسيعود بي لذكرياتٍ من العذاب جاهدت كثيرًا لنسيانها.

ظل نيركا ينظر محاولًا تخطي الأفق والزمان لينهي ما بدأ منذ عامينِ عندما ظهرت تلك البوابة من داخل الصخورِ وبدأ المجوم يهجمون على القرى ويخرِّبونها.. يقتلون بهدفِ القتل.. ويحرقون الزرع.

لم ينجح أحدٌ في التصدي لهم أبدًا.. ولكنه سينجح..

هذا ما أخبرت به العرافة.. وهذا ما يؤمن به لأنه يعلم سر هزيمتهم.. يعلم أن الاتحاد هو الحل الوحيد لهزيمتهم.. وسيوحدهم أو يموت وهو يحاول..

ـ ستحتاجون إليّ وإلى تنين الجوكوا.

قطعت زينورا أفكار نيركا الشاردة:

ـ لن نحتاج إلى التنين.

ثم استدار ليواجهها:

ـ لن ندخل من بوابةِ المجوم.. هناك شقٌ جبلي كنا هربنا منه أنا وباماسي عندما اختطفه المجوم هو وبعض محاربي القبائل.. هذا الشق لا يتسع لمرورِ المجوم.. وهو يؤدي إلى قلب الكهف مباشرة فوق النار التي يخرج منها المجوم.. وعين الطاقة تقع هناك..

ـ إذاً ستحتاجون إليّ.

أخذ نيركا شهيقًا عميقًا وهو ينظر إلى عينيّ زينورا:

ـ زينورا.. سيكون جحيمًا في الداخل وأنا لن أسامح نفسي إذا ما أصابك مكروه.

ـ ولكنه ليس قرارك.

ـ زينورا أنا من ورطكِ بهذا الأمر منذ البداية وأعطيتك وعدًا واحدًا وهو ضمان سلامتك حتى أُسلمك لوالدك.

نظرت زينورا إلى الأرض.

ـ ماذا لو لم أود العودة إلى والدي؟

ثم نظرت إلى عينيه والدموع تتلألأ في عينيها:

ـ ماذا لو وددتُ البقاء معك.

ـ زينورا إن ما نحن مقبلون عليه أمر عظيم.. كنت أتمنى وجودك بحياتي قبل هذا ولكني أغامر بكلٍّ شيءٍ الآن وربما لن ننجو من هذا.

انهمرت دموع زينورا:

ـ حتى لو متنا أريد الموت بجانبك.

ارتسمت ابتسامةٌ حانية على وجه نيركا وهو يمسك بكتفيها:

ـ ماذا لو وعدتك بأن أعود إليكِ؟

تهللت أسارير زينورا:

ـ تذكر أنك دائمًا تفي بوعدك.

ـ انتظريني هنا وسأعود إليك.

مسحت زينورا دموعها:

ـ لا لن أنتظرك هنا.

ثم ابتسمت هي الأخرى:

ـ لديَّ مهمة أنا الأخرى يجب أن أقوم بها.

ـ أي مهمة؟

ـ سأخبرك بها عندما تعود.

جاء صوت باماسي ليقطع حديثهما وهو يقول:

ـ أنا جاهز نيركا.

خرج باماسي من خلف الأشجار متجهًا نحوهما.. بينما ابتعدت زينورا متجهةً إلى تنينها.. بينما حطَّ تنين السامو الصغير على كتف نيركا.. قفزت زينورا على متنِ الجوكوا وهي تقول:

ـ هنا سيفترق رفقاء الطريق.

ثم وكزت الجوكوا بقدميها فأطلق جناحيه للرياح وبدأ يرفرف في حين قال نيركا:

ـ نعم سنفترق.. ولكن على لقاء.

بدأت زينورا رحلتها مبتعدة عنهما وهي لا تصدق ما فعلته للتو.

هل صارحته بحبها لتوها؟!

كيف سمحت لنفسها بهذا.. زينورا أميرة زنديون تصارح محاربًا بحبها.. وليس أي محارب.. محارب من قبيلة ساب.. ألد أعداء زنديون.. وتقول له أنها تتمنى أن تعيش معه..

ماذا فعلتِ يا زينورا؟

هل نسيتي من أنت؟

نسيتي أن كل رجال ومحاربين قبيلتك تمنوا نظرة رضاء منك وتعففتِ عنهم جميعًا..

كيف رضيتي أن تكوني أسيرة هذا الحب وهذا المحارب ولكنه ليس كأي محارب.. محارب يرفض الدنيا لينقذ القبائل.. لا يهم ما الذي فعلته المهم أنني أشعر بالسعادة.. أشعر بأنني أُحلق مع التنين وليس به.. وجدت أخيرًا من يستحق هذا الحب ويبادلني به..

أشعر بحبه وبعينيه تقولها.. ربما هو يخفي شيئًا..ولكنها ستذهب إلى الوحيدة التي تقول لها ما هذا الشيء.

ستذهب إلى العرافة.. الوحيدة التي تملك أجوبة كل شيء.. وها هو كهفها يلوحُ بالأفق..

وها هي تحط بتنينها على باب الكهف وتهبط من فوقهِ وتدخل في هدوءٍ لتجدها أمامها.. مهندمة هي تلك العرافة تجلس في هدوءٍ وسط كهفها الذي زيَّنتهُ قطع القماش المبهرجة.

ـ انتظرتك طويلًا أيتها الأميرة.

ـ كنتِ تعلمين بقدومي؟

ـ لن أكون عرافة إذا لم أعلم.

ثم أشارت إلى صخرةٍ أمامها تُغطيها قطعة من الفرو:

ـ اجلسي أيتها الأميرة.

جلست زينورا أمام العرافة وهي تسأل:

ـ من يكون هذا المحارب؟

ابتسمت العرافة وهي ترد:

ـ لقد بدأتِ بالسؤالِ الخاطئ.

ثم استطردت:

ـ ليس المهم من يكون المهم ما هو الذي يستطيع عمله؟

ـ ما الذي يستطيع عمله؟

ـ يستطيع أن يُصلح ما فعله والدك.

انقبضت أسارير زينورا:

ـ والدي؟

ـ نعم والدك وسوجدو وكارياك أمير ساب والساحر الأعظم.

ـ ماذا تقصدين؟

ـ أقصد المجوم.

ثم نهضت العرافة متجهة إلى قارورة بها سائل لتصب قدحين وتتجه إلى زينورا مقدمةً إليها قدح منهما وتجلس في مكانها ترتشف من الآخر.

ـ بالطبع والدك لم يقص عليكِ ما فعلوه.

ـ أنا لا أعلم عم تتحدثين.

ـ كان هذا منذ بضعةِ أعوام اتفق زعماء القبائل الثلاث على اللقاء سرًا لإنهاءِ الحروب بينهما وكان هذا برعاية الساحر الأعظم في منطقةِ الصخور التي فُتحت فيها بعد ذلك نار المجوم.

ثم أخذت العرافة رشفة أخرى من قدحها وهي تكمل:

ـ في البداية سار كل شيءٍ جيدًا وبدأ ملوك القبائل على الاتفاقِ على الهدنة، ولكن كارياك كان قد وجد في طريقهِ للِّقاء تلك الماسة الملعونة فأخرجها كرمزٍ للهدنة، ولكن الساحر الأعظم حذَّرَ منها وقال أنها ستفتح باب لعنةٍ وأنها ستفتح عالمًا بين النجوم محرمٌ منذ قديم الأزلِ يخرج منه ما يقضي على الحياة في هذا الكوكب، ولكن غطرسة الزعماء الثلاثة التقت على أن لا شيء يستطيع الوقوف في وجههم.

كانت زينورا تجلس مستمعة وهي لا تكاد تصدق ما تسمعه من العرافة التي أخذت تشرب من قدحها وهي تكمل:

ـ كانت رحلة صعبة قرر الملوك الثلاثة المضي فيها حتى وصلوا إلى باب نارِ المجوم وما إن استخدموا تلك الماسة حتى فُتح باب الجحيم وهرب الملوك بشقِّ الأنفس وقد اتفقوا أن تظل تفاصيل تلك الرحلة سرًا بينهم للأبدِ واستطاع الساحر أن يهرب بالماسة بعد أن أُصيب إصاباتٍ بالغة جعلته غير قادرٍ على إظهار جسده الحقيقي.

ثم مالت نحو زينورا وهي تقول:

ـ والآن هناك جيشٌ كامل من المجوم يقف حائلًا بينكم وبين باب المجوم والشيء الوحيد الذي يغلق هذا الشيء يضعه محاربك على صدره.

ـ ماسة النجوم؟

ـ الماسة الملعونة.

ثم ابتسمت ابتسامة باهتة:

ـ والآن إلى سؤالك.. من يكون هذا المحارب؟

ـ من يكون؟

ـ هو شخصٌ ضعيف إلى أقصى حدٍ رغم قوته الجسدية ولكنه لا يجد نفسه وضاقت به الحياة وهو يحاول أن يجد هدفًا لما يعيشه وهذه الرحلة يعتبرها رحلته الأخيرة.

ثم اتكأت على صخرتها وهي تقول:

ـ إنه يحتاج إلى مساعدتك.

ـ مساعدتي أنا؟

ـ نعم رغبته في الحياة انعدمت ولكنه أخيرًا وجد لنفسه أمل سيحتاج إليكِ في كل خطوة.

ـ وأنا لن أبخل عليه بذلك.

ـ تحبينه؟

أطرقت زينورا بوجهها إلى الأرضِ وهي تقول:

ـ بل أعشقه.

سكتت العرافة للحظاتٍ:

ـ في هذه الحالة فإن محاربك وصديقه في هذه اللحظةِ يحتاجانك بشدة.

وقفت زينورا مذعورة وهي تصيح:

ـ ماذا تقصدين؟

ـ هما مصابان بشدةٍ ويجاهدان للخروجِ من الشق بعد أن حصلا على عين الطاقة وفرقة منَ المجوم تلتفان

لتنتظرهما عند نهاية الشق ولن يستطيعا الهرب منهم بدون مساعدتك.

ـ ماذا؟! أين يقع هذا الشق؟

ـ إنه عند الجانب الشرقي من نار المجوم.

انطلقت زينورا كالسيف نحو مخرج الكهف لتقفز قفزة مهولة لتركب بها الجوكوا الذي ينتظرها عند مخرج الكهف منطلقة به عائدة نحو نار المجوم وهي تتمتم:

ـ ما الذي فعلته بنفسك أيها المحارب؟! اصمد من أجلي أنا قادمةٌ إليك.

انطلق تنين الجوكوا كالسيفِ يشق الرياح وعلى متنه زينورا المذعورة التي أخذت تسبق الأفق بنظرها محاولةً أن تتبين الطريق وقد هبط الليل بالفعل.

ومن بعيد ظهرت أجساد المجوم المشتعلة وهي تتجه نحو شقٍ بالجبل فوجهت زينورا تنينها نحو ذلك الشق وأخذت تقترب بالتنين حتى لمحت نيركا وباماسي والأول يتكأ على الثاني وقد أثخنتهما الجراح وامتلئا بالحروق.

وما إن لمحتهما حتى وكزت تنينها ليزيد من سرعته فانقضَّ بجناحيه مقتربًا منهما وما إن اقترب منهما حتى هتفت زينورا وهي تمد ذراعها نحو الأسفل والتنين يميل بجسده:

ـ باماسي.. هيَّا.

رفع باماسي رأسه ليفاجأ بزينورا على متن تنينها ولكنها كانت أجمل مفاجأةٍ في هذا الوقتِ وعلى الفور رفع ساعده ليتعلق بذراع زينورا ممسكًا بنيركا الذي كان في حالٍ يُرثى لها.

وعلى الفور ضرب التنين الهواء بجناحيه ليرتفع بقوةٍ في حين رفعت زينورا باماسي الذي وضع نيركا بينه وبين زينورا وعينيه زائغتين وقد أنهكته الجراح وإن كان لم يفقد الوعي بعد.

قال باماسي:

ـ كيف عثرتِ علينا؟

ـ إنها قصة طويلة.. ماذا حدث لكما؟

ـ كان عددهم كبيرًا ولكننا نجحنا في الحصولِ على عين الطاقة والخروج بها وهذا هو المهم.

قالت زينورا:

ـ إنه يحتاج إلى العناية سأتوجه به نحو..

قاطعها نيركا:

ـ بل إلى الوادي الكبير سأحتاج إلى قسطٍ من النوم بعدها سأكون بخير.. القبائل تتوجه نحو الوادي وكذلك المجوم بعد أن استشاطوا غضبًا.

ثم أخذ نفسا طويلًا وهو يقول:

ـ غدًا ستكون معركة كبرى.

قالها وأراح رأسه مرة أخرى على كتف زينورا التي اتجهت نحو الوادي لتهبط بتنينها وتضع نيركا ليتكأ بظهرِه على شجرةٍ ثم قال وهو يكتم تأوهاته:

ـ باماسي.. اذهب إلى الجنداي بعينِ الطاقة ويمكنك أن تأخذ زينورا والتنين وأنا سأختبئ بين الأشجار.

قالت زينورا معترضةً:

ـ بل سأبقى معك وليأخذ باماسي التنين وسيتوجه به نحو ما يريد فهو يمتثل لأوامري.

لم يجد في نيركا القوة ليعترض فقد سقط في غيبوبتهِ على الفور فاقتربت منه زينورا لتطمئن عليه ولكن باماسي ابتسم رغم جروحهِ وهو يقول:

ـ لا تقلقي.. هناك من يهتم بهِ في العالمِ الآخر.. لقد أخبرني بذلك مرارًا.

نظرت إليه زينورا والدموع تُغرق عينيها وهي تقول:

ـ لا بأس.. سأنتظر معه لأعتني به وخذ أنت الجوكوا واذهب للجنداي.

أومأ باماسي برأسه موافقًا ليمتطي الجوكوا ويبتعد به نحو الأفق في حين جلست زينورا لتضع رأس حبيبها على قدميها وهي تمرر يدها بين خصلات شعره وتمسح الدماء عن وجههِ بملابسها والدموع تنهمر من عينيها وهي تقول في نفسها.

ماذا فعلتِ يا زينورا حتى تُحبي رجلًا يقبل على الموتِ كما يُقبل الجميع على الحياة.

ماذا فعلتِ؟

بئر الفساد

- للمرةِ الأخيرة يا قدري لا أنصحك بمغادرةِ المستشفى جسدك ما زال ضعيفًا.

وقف أكرم خلف قدري مترجيًا إياه في غرفتهِ بالمستشفى والأخير يُكمل ارتداء ملابسه في هدوءٍ والإنهاك والإرهاق يبدوان على قسماتِ وجهه الشاحب والتأوهات تكتم في فمه مع كل حركةٍ يقوم بها.

- لقد اعتنيت بي جيدًا يا أكرم منذ الفجر، واعتنيت بجروحي وتم حجزي بالمستشفى ونقلت لي نصف لترٍ من الدم غير المحاليل ومضادات الالتهاب والمضادات الحيويةَ.. أعتقد أن هذا يكفي.

- لا.. لا يكفي يا قدري ما زال جسدك ضعيفًا وتحتاج إلى مزيدٍ من العناية والمحاليل والمضادات الحيوية وربما المزيد من نقلِ الدم.

انتهى قدري من ارتداءِ ملابسه فنظر نحو أكرم.

ـ ربما لاحقًا.

ـ أصبحت تصاب بالجروحِ بمعدلٍ أعلى حتى من معدلك الذي اعتدت عليه.. لا يوجد جسدٌ يتحمل هذا.. إنني أخشى عليك.

ـ أعلم أكرم ولكنني وسط أمرٍ خطير أنتظره منذ سنواتٍ وهناك شخصٌ يمكن أن أنقذ حياته اليوم.

هزَّ أكرم رأسه متفهمًا وهو يقول:

ـ لن أقف في طريقك ولكن بوصفي طبيبك فإنني أنصحك باستكمال علاجك.

ابتسم قدري رغم الضعف الذي يبدو عليه:

ـ شكرًا للنصيحة ولكنني للأسف سأختار أن أتجاهلها رغم أهميتها فإنني بالفعل تأخرت عن عملي وقد اقترب النهار من منتصفه.

لم يتخيل قدري وهو يقول هذه الكلمات أن أيمن كان يقف منتظرًا إياه حتى منتصف النهار عند بوابة المديرية.

لم يتخيل أن أسارير أيمن ستتهلل في يوم من الأيام لرؤيتهِ وسيهتف مرحبًا به ولن يبالي لسماع سبب تأخُّره وسيصحبه عبر

أروقةِ المديرية حتى مكتبه حتى يدخل معه المكتب ويتأكد أيمن من غلق الباب بإحكامٍ ولكن قدري يبادر بالحديث:

ـ هناك شبهة ترصد وقتل.

ـ بالطبع هي كذلك فالسارق كان يترصد بالقتيل.

ـ ليس هذا يا أيمن.. عملية السرقة نفسها كانت لتغطيةِ السبب الرئيسي وراء القتل.

ثم أخذ قدري نفسًا يداري به الآلام التي يشعر بها.

ـ أعتقد أن الموضوع له علاقة بابنهِ وهناك شبهة عصابات تهريب ألماس وأحجار كريمة وهذه تصفية حسابات.. وهناك خيطٌ أتبعه ربما يؤدي لابنه.

شحب وجه أيمن بعد تلك الكلمات وأطرق بوجههِ إلى الأرض لبرهةٍ سكت فيها قدري عن الكلام وهو ينظر نظرة متفحصة لرد فعل أيمن الذي رفع رأسه بعد ذلك نحو قدري وهو يسأل:

ـ هل أنت متأكد مما تقول؟ لأن اللواء إبراهيم يعتقد أن القضية أبسط من ذلك.

ـ اللواء إبراهيم ليس لديه المعلومات التي أملكها.

ومرة أخرى يسود الصمت قبل أن يسأل أيمن:

ـ هل أخبرت أحدًا بشكوكك؟

ـ ليس بعد أنت أول من أُخبره.

لم يخفَ عن قدري تلك الراحة التي بدت على وجه أيمن وهو ينهض من مكانه ويستأذن للخروج.. بل على الرغم من الآلام التي كان يشعر بها إلا أن قدري كان يتخيل البريق الذي يلمع بعيني أيمن بعد أن وجد صيده الثمين وهو يتجه إلى مكتب اللواء إبراهيم مدير الإدارة بذاته وهو يدخل إلى مكتبه ويغلق الباب خلفه.

وكعادته بدا اللواء إبراهيم هادئًا وواثقًا من نفسهِ إلَّا أن الابتسامة الظافرة على وجه أيمن بعثت بعض الاضطرابِ بداخله:

ـ ماذا وراءك يا أيمن؟

ـ سيادة اللواء أنت تعلم أننا سبق لنا التعاون معًا في أكثرِ من قضية وأعتقد أن النتائج كانت كما طلبتها بالضبط.

رد عليه اللواء إبراهيم:

ـ نعم يا أيمن وفي كل مرةٍ مجهودك يكون مشكورًا ويصل إليك هذا الشكر.

ـ نعم سيدي ولكن هذه المرة الوضع يختلف.

انعقدت أسارير اللواء إبراهيم وهو يتساءل:

ـ وكيف هذا؟

ـ أنت لم تخبرني بتورط عصابات تهريب ألماس بهذا الموضوع.

ثم مال بجسدِهِ إلى الأمام:

ـ في هذه الحالة الوضع يختلف.

أطلَّت نظرة متفحصة من عيني اللواء إبراهيم محاولةً تجاوز ملامح أيمن لتصل إلى تفكيره ثم قال:

ـ ماذا تريد يا أيمن؟

اعتدل أيمن في مجلسِهِ وهو يقول:

ـ إن المبلغ الذي اعتدنا عليه قليل أريد خمسة أضعافه.

ـ الأمر ليس بيدي يا أيمن هناك من يجب...

قاطعه أيمن:

ـ سيادة اللواء مع فائقِ الاحترام إلى من تعود إليه ولكن الوقت ليس في صالحنا.. كما أن قدري يقترب بشدةٍ من معرفة الحقيقة.. يجب أن ننهي تلك المسألة الآن فإمَّا أن يكون قدري معنا أو يكون ضدنا.

استدار اللواء إبراهيم بكرسيهِ لدقيقتين ليُعطي ظهره لأيمن الذي شعر بالدقيقتين تمران عليه كالدهر وهو لا يرى إلا طَرف رأس اللواء الذي بدت علامات التفكير العميق عليه قبل أن يعود بكرسيهِ مواجهًا أيمن:

ـ لا بأس يا أيمن.. أعتقد أنني أستطيع تأمين المبلغ الذي طلبته.

ـ وقدري؟

جاء الدور على اللواء ليبتسم وهو يقول:

ـ كما قلت سابقًا إما أن يكون معنا أو ضدنا.

ثم قرع جرسًا على مكتبه ليدخل عواض مؤديًا التحية العسكرية فيقول له اللواء:

ـ أريد قدري من مكتبه حالًا.

فيؤدي عواض التحية العسكرية مرة أخرى ويخرج مغلقًا الباب خلفه ليسود بعده دقائق من الصمتِ على جدران المكتب قبل أن تتعالى تلك الطرقات المنتظمة على البابِ ويدلف قدري بعد أن يسمح له اللواء في هدوءٍ:

ـ ما الذي حدث يا قدري لماذا خالفت تعليماتي؟

ـ سيدي إن لدي من المعلومات ما يجعلني أعتقد..

قاطعه اللواء بنبرةٍ غاضبة:

ـ تعتقد؟

ـ سيدي لو سمحت لي أن أكمل ربما أشرح لسيادتك..

هذه المرة قاطع قدري إشارةً بالسكوتِ من يد اللواء إبراهيم مصاحبة إياها نظرة باردة كالثلج جعلت الكلمات تتجمد في حلقِ قدري.. بعدها نهض اللواء بطَولهِ الفارع وجسده النحيل ليواجه

قدري.. بينما نهض أيمن من مجلسهِ.. بينما وقف اللواء أمام قدري وعينيه الثاقبتين مركزتين على عينيه ثم قال فجأة:

ـ إنني أراقبك منذ فترةٍ وأعلم ما أنت عليه.

ـ ماذا تقصد يا سيدي؟

ـ أقصد إنك فاسد ومرتشي.

ـ هذه مجرد إشاعات يا سيادة اللواء ولم يثبت قط..

قاطعه اللواء إبراهيم وهو يقول:

ـ هذا ليس بتحقيقٍ رسمي ولم أطلب منك دفاعًا.

ثم أتبعها بقوله:

ـ اعتبر هذه صفقة العمر بالنسبةِ لك ماذا تريد؟

انعقد حاجبيّ قدري وهو يقول بصوتٍ متشكك:

ـ ماذا تقصد يا سيدي؟

ـ أنت تفهم ما أعنيه.. ماذا تطلب لتُقيد تلك القضية اقتحام وسرقة؟

ظلت نظرات التشكك في عينيّ قدري وهو ينظر إلى أيمن يطلب منه النصح فبادر أيمن مطمئنًا إياه:

ـ لا تخش شيئًا يا قدري اللواء إبراهيم يريد مصلحتك.

عاد قدري بنظرهِ لسيادة اللواء ولغة الصمت هي التي تنطلق من عينيه والتوتر يبدو على قسماتِ وجههِ على العكس من نظرةِ الهدوء والابتسامة الواثقة التي تبدو على وجه اللواء إبراهيم الذي بدأ يسير في مكتبهِ بخطواتٍ بطيئة:

- لا تتخيل يا قدري أنك كنت بعيدًا عن متناول يدي طوال الوقت أو أنني لم أكن أعلم بإدمانك للهيروين والأموال التي تتدفق بين يديك وشراءك المخدر من سليم وقطرات الهيروين المتناثرة على مكتبك.

ظلَّ قدري صامتًا وهو يتابع اللواء إبراهيم الذي استطرد:

- كل ما هنالك أنني كنت أقول أنني سأحتاج قضية منك في يوم من الأيام وعندما أسندت تلك القضية إليك لم أتصورً لبرهةٍ أن تلك القضية ستكون هي.

ثم اتجه نحو كرسيه ليجلس عليه وهو يكمل:

- حتى جاءني اتصالٌ من وسيطٍ أعتمد عليه قلت أن أسلم طريقة إشراك أيمن معك ليغلق القضية كما نريدها فقد سبق لي التعامل مع أيمن. وعندما أخبرني أيمن اليوم أن تلك القضية تخص عصابة لتهريب الأحجار الكريمة قلت هي فرصة العمر التي أنتظرها منذ فترةٍ ولن أسمح لعنادك بالوقوفِ بوجهي.

ثم نهض مرة أخرى وهو يقول بحزمٍ:

ـ والآن إما أن تكون معنا وإما سنداهم بيتك ومكتبك لنخرج ما به من هيروين ونضعك بالسجن ما بقيَ من عمرك.

ساد التجهم ملامح قدري وهو يجلس ببطءٍ على الكرسي الذي وراءه وملامح الصدمة تبدو عليه فاقترب منه أيمن يربت على كتفهِ وهو يقول:

ـ الاختيار سهل يا قدري إما المال وإما السجن ولا أظنك تفضل الثاني.

رفع قدري نظره إلى أيمن وهو يهز رأسه نفيًا فأكمل أيمن:

ـ إذًا أنت معنا.

أطرق قدري بنظرهِ إلى الأرض وهو يتمتم:

ـ كما تأمران ستجدانني طوع أمركما.

تبادل أيمن واللواء إبراهيم نظرات الارتياح والابتسامة تملأ وجهيهما

ـ ماذا تطلب؟

سأله أيمن فردَّ عليه قدري بصوتٍ خافت:

ـ لن أطلب شيئًا.. كما طلبت أنت لنفسك سآخذ مثله.

التفَّ اللواء حول المكتب وربتَ على كتف قدري وهو يقول:

- لا تُقلق نفسك أنت بالتفاصيل.. سيُنهي أيمن التحقيق وستصلك أموالك حتى باب بيتك كل ما هو مطلوبٌ منك التوقيع على تقرير أيمن.

أومأ قدري برأسِ موافقًا فاتسعت ابتسامة اللواء وهو يقول:

- يمكنك الانصراف الآن.

وقف قدري بتثاقلٍ من فوق كرسيه تَزيده جراحه التي في جسده وخرج بخطواتٍ متثاقلة وهو يشق طريقه عبر الجميع مغادرًا الإدارة والمديرية تمامًا حتى اقترب من سيارتهِ فأخذت خطواته تتسارع رويدًا رويدًا وملامحه تتبدل من الاستسلام والألم إلى غضبٍ مكبوت حتى دخل إلى سيارته وأغلق بابها وراءه بعنفٍ وهو يتمتم وقد احمرت عيناه ووجنتاه من الغضب:

- يهدونني أنا.. الآن سأردَّ لهما الصاع صاعين وسأريهما من هو قدري سليمان.

ثم تناول جواله وأخرج رقم أنور ثم وضع الهاتف على أذنه منتظرًا الرد الذي أتاه سريعًا.

أنور.. كيف حالك.. قل لي هل أنت مستعدٌ بالفعلِ لإسداءِ خدمةٍ لي..ثم ارتسمت ابتسامة راحة على شفتيه وهو يكمل:

ـ عظيم.. ما مدى معرفتك بزملائك في قسمِ الجمالية من ضباط وأمناء شرطة..

هنا زادت الابتسامة وقدري يقول عبر الهاتف:

ـ جيد جدًا يا أنور.. اسمعني جيدًا ونفذ ما سأقوله بالحرفِ الواحد.

وظلَّ قدري على مدار الدقيقتين يملي أوامره لأنور الذي كان بالفعل أهلا لها.

وفي نفس الوقت كان اللواء إبراهيم يجري اتصالًا من مكتبهِ بصفوت مُرحِّبًا به قبل أن يقول معاتبًا:

ـ لم أكن أظن أنه سيأتي اليوم الذي ستحاول فيه خداعي صفوت.

أتاه الصوت من الجهةِ الأخرى:

ـ خداعك أنت؟ أنت مخطئ سيادة اللواء.

ـ لا تحاول معي صفوت لقد علمت أن عصابات الماس متورطة في عملية القتل.

انطلقت ضحكة خفيفة من سماعة الهاتف وصفوت يقول:

ـ وما علاقة هذا بالقتل؟ الهدف واحد سواء كان القاتل عاملًا أو وزيرًا.

ـ الأمر يختلف هذه المرة فالأتعاب لن تكون واحدة.

ساد الصمت لبرهةٍ قبل أن يقول صفوت:

ـ يجب أن تعطيني ما هو أكثر من التستر على عمليةِ القتل إذا كنت تريد المزيد سيادة اللواء.

ـ ماذا تريد؟

ـ نريد أن نصل لابن القتيل.

ردد اللواء إبراهيم وراءه:

ـ ابن القتيل!

هنا انتفض أيمن من مجلسهِ أمام اللواء وهو يهتف:

ـ لقد قال قدري أنه يتتبع خيطًا ربما يؤدي إليه.

وبحركةٍ غريزية قرعت يد اللواء جرس المكتب وسرعان ما دلف عواض.

ـ أريد قدري مرة أخرى.

ارتبك عواض وهو يقول:

ـ سيدي لقد خرج من عندك مغادرًا المبنى في الحال.

سكت اللواء إبراهيم بينما أشار أيمن لعواض بالانصرافِ قبل أن يقول إبراهيم لصفوت:

ـ لا بأس يا صفوت قدري يملك معلومات قد تؤدي إليه ولكنه غادر منذ قليل سأستدعيه..

قاطعه صوت صفوت:

ـ لا تفعل يا سيادة اللواء إذا كانت المعلومات لدى قدري سنحصل عليها.. أما بخصوص أموالك فسنتفاوض على ذلك لاحقًا.

لم يكن أبدًا صفوت بالمفاوضِ السهل وكان إبراهيم يُدرك ذلك تمامًا والطريقة التي قاطعهُ فيها صفوت وإغلاق الهاتف بتلك الطريقة الفجَّة بدون إعطاء وعدٍ صريحٍ بالمالِ جعل اللواء إبراهيم يبحث عن نمرة قدري بجواله ويتصلٍ به.

ومن سيارته لاحظ قدري رقم اللواء إبراهيم يتصل به ولكنه اختار أن يتجاهلها وهو يقطع الشوارع بسيارتهُ وما ان اقترب من شارع الصاغة حتى تعالى صوت الجوال مرة أخرى ولكن هذه المرة كان أنور فسارع قدري بالرد على الهاتف فجاءه صوت أنور:

ـ لقد وصل الهدف سيد قدري.

ضغط قدري دواسة الوقود عن آخرها وهو يمر بسيارتهِ كالمجنونِ بين السيارات ويقول:

ـ أنا على بُعد دقيقةٍ منك يا أنور.. لا تجعلوه يغيب عنكم ثانية واحدة.. هل نفذت ما طلبته منك؟

ـ نعم يا سيد قدري هناك قوة كاملة منتشرة بالشارع من قسم الجمالية من ضباط وأمناء شرطة وأنا أجلس على القهوة قبل الورشة بعشرةِ أمتار وجان داخل الورشة ولم يتعرَّض له أحدٌ كما طلبت.

ـ جيد يا أنور.. انتظرني فقد وصلت تقريبًا.

قالها قدري وهو على مشارف الشارع يوقف سيارته ويقفز منها ثم يتجه بخطواتٍ متسارعة حيث يجلس أنور متسائلًا:

ـ هل الجميع في أماكنهم؟

ـ نعم يا سيد قدري.

جلس قدري بجانب أنور مواجهًا للشارع يراقب الورشة.. مرت دقيقتان قبل أن يقترب أحدٌ من أنور هامسًا في أذنهِ بشيءٍ ما ثم ابتعد فقال أنور:

ـ هناك من كان يتبعك قدري باشا.. سيارة بها بضعة أشخاص منهم شخصٌ أجنبي.

اتسعت عينا قدري عن آخرهما.. كيف لم ينتبه لهذه السيارة التي كانت تتبعه بإصرارٍ وسرعةٍ جنونية من لحظةِ خروجه

من المديرية.. بل أنه يكاد يتخيل أنها وراءه منذ أن ترك سليم البارحة.. بل يظن أنها تحمل ستيفان وسليم وبعض رجالهما.

ـ تبًا لقد أرشدتهم بنفسي لمكان جان.

هكذا هتف قدري في نفسِ اللحظة التي خرج فيها جان من داخلِ الورشة وهو يحمل في يدِهِ حقيبة محكمة الغلق.

انتفض قدري من مكانه وهو ينظر إلى جان ثم أدار عينيه في أرجاء الشارع؛ فإذا به يلمح سليم يتجه نحو جان كما لاحظ أن هناك بعض الأشخاص الذين بدأت حركتهم في اتجاهِ جان وفي لحظةٍ واحدة أخرج قدري مسدسه وهو يهتف:

ـ جان.. انتبه.

وبدأ قدري في الركضِ نحو جان شاهرًا مسدسه وفي لحظةٍ توتر الموقف؛

ستيفان وسليم ورجالهما يُخرجان أسلحتهما ورجال قسم الجمالية يُحيطون بالمكان من كل جانب وتسمَّر جان في مكانهِ على باب الورشة وقدري يركض في اتجاهِ جان.

بدأ إطلاق الرصاص وكانت أول رصاصة من مسدس قدري وهو يركض وأطلقها باتجاهِ سليم وهو يُخرج مسدسه وبعدها بدأ سيل من الرصاص والدخان يتصاعد من فوهاتِ المسدسات حتى

وصل قدري إلى جان ليحتضنه ويطير به أرضًا أمام الورشة وما كاد ينقشع الدخان حتى كان رجال البوليس يسيطرون على الوضع حيث سقط ستيفان وسليم مخضبان بدمائهما.

في حين ألقا رجالهما أسلحتهما وأمناء وضباط الشرطة يقتربون منهم بحذرٍ شاهرين أسلحتهم في حين مُلئ الشارع بالمارةِ المذعورين المنبطحين أرضًا في حين انطلق أنور باتجاه قدري وجان فوجد قدري مستلقيًا فوق جان وتحتهما بقعة دماء؛ فانحنى أنور ليرفع قدري فوجد جان تحته مذعورًا وهو لا يكاد يُصدق أنه نجا، في حين لم يكن قدري يتحرك تمامًا وبقعة الدماء تلون ملابسه في منطقةِ الصدر تمامًا.

وجمود الموتى يتغمده.

تمامًا..

الملحمة

فتح نيركا عينيه مذعورًا وهو يتحسس صدره غير مصدقٍ لما حدث.

عادةً ما كان يصاب هو ليسعفه قدري هذه أول مرة يحدث العكس.

ولكن في هذه اللحظة انتبه نيركا أنه يرقد على ساق زينورا وهي تجلس مريحةً ظهرها على جذع الشجرة ولأولِ مرة ينتبه للشبهِ بينها وبين هبة..

نفس الملامح ونفس لون البشرة ونفس الشعر.

لقد تعلَّم منذ فترةٍ أن يفصل مشاعر نيركا عن قدري والعكس.. ولكن في هذه الوهلة علم لماذا وقع في غرامها في نفس الوقت الذي أحب به قدري هبة.

فتحت زينورا عينيها لتفاجأ بنيركا ينظر إليها تلك النظرة المحبة وابتسامة خفيفة مرسومة على وجهه.

مررت زينورا أناملها عبر خصلاتِ شعر نيركا وهي تسأله:

ـ أأنت بخير الآن؟

ابتسم نيركا بصعوبةٍ وهو يقول:

ـ أفضل.. آلام بصدري وصعوبة بالتنفس.. ولكن الجراح أفضل.

ثم نهض موجهًا نظره نحو الوادي ليفاجأ بالوادي يصطف به الثلاثة جيوش.

ـ إذًا فقد وصل الجميع.

نهضت زينورا بدورها وهي تقول:

ـ نعم بينما كنت نائمًا.. في البداية وصلت قبيلتك ثم قبيلة هنتارو وفي النهاية وصل أبي.

ـ إنهم يصطفون لمواجهةِ بعضهم البعض.

ابتسمت زينورا ساخرةً:

ـ كالمعتاد.

ـ ليس هذه المرة.

قالها نيركا وهو يستل سيفه ويتجه بخطواتٍ سريعة ليخرج من بين الأشجار متجهًا إلى الساحةِ الخالية بين الثلاثةِ جيوش وهو يلمح الثلاثة ملوك يقفون على رأس جيوشهم بكاملِ عدتهم وعتادهم وفي منتصف الساحة تمامًا وقف نيركا رافعًا سيفه ووراءه تقف زينورا والأول يصيح:

ـ الآن تقابلتم أخيرًا.. الثلاثة جيوش العظيمة لأكبر ثلاث قبائل والثلاثة ملوك.. أرى أنكم استعددتم للقتال.. ولكن الخبر السيء أنكم لن تقاتلوا بعضكم البعض اليوم.. ستقاتلون عدو مشترك.. عدو يأكل الأخضر واليابس.. لقد سافرت لأيام عديدة.. وحاربت لسنواتٍ أكبر لأصل لهذه اللحظة.. إنَّ المجوم في طريقهم إلى هناً.

سادت موجة من الصخب بين الجيوش في حين رفع نيركا سن ثعبان الدرنكون من حزامه:

ـ لقد قاتلت ثعبان الدرنكون وهزمته.

ثم رفع ماسة النجوم:

ـ وقابلت الساحر الأعظم وأعطاني تلك الماسة مع تنين السامو.

ثم رفع تاج الملك سوجدو نحو التنين:

ـ تاجك أيها الملك العظيم سوجدو لن يرتديه أحدٌ غيرك.

فأخذه التنين وذهب به إلى الملك ليلقيه إليه ويعود إلى كتفِ نيركا.

ـ أتدرون ماذا أرى؟ أرى جيشًا واحدًا كبيرًا وثلاثةِ ملوكٍ عظام.. جيشٌ لا يمكن لأحدٍ أن يقهره ولا حتى المجوم.. لقد تعلَّمت كيف أقتلهم.. فقط تفادوا مخالبهم وأيديهم الطويلة وشُقوا رؤوسهم رأسيًا حتى منتصفها حيث يقع العقل؛ فهذا أضعف مكانٍ وأسرعه.. لقد أتيتم جميعًا للحاقِ بي وقتالي.. ولكنني لست بعدوكم.. ولم أكن أبدًا كذلك.. ولكن هذا الخطر الآن يقترب منَّا وجاء وقت الوقوف جنبًا إلى جنب.

كان صوت جيوش المجوم قد بدأ يعلو وبدأت الأرض تهتز فرفع نيركا سيفه عاليًا وقال:

ـ والآن إمَّا أن تصطفوا كجيش واحد في مواجهةِ العدو وإما أن نباد اليوم عن بكرةِ أبينا.

وفجأة بدأ نيركا في الترنح فهرعت إليه زينورا ولكن غامت الدنيا في عينيه وصوتها يبتعد.

ـ نيركا....

ـ قدري.. إنه يفتح عينيه.

وجد قدري نفسه راقدًا في سريره ويقف أنور وهبة وأكرم عند طرفِ السرير والأخير يبتسم وهو يقول:

ـ لقد أفاق أخيرًا.

لم يكن الأمر يحتاج إلى قدرٍ كبير من الذكاء ليفهم أكرم أنه بالمستشفى ولكنه نظر إلى أنور وهو يتساءل:

ـ ماذا حدث؟

تم القبض على الجميع ومات القاتل المحترف القادم من الخارج وتم القبض على جان نفسه ويحققون معه بشأنِ تهريب الألماس والأحجار الكريمة إلى مصر وفي المعركة أصبت سيادتك بطلقٍ ناريّ في الصدر وتم تحويلك إلى القصر العيني حيث فوجئت بصديقك هذا:

قالها ووهو يشير إلى أكرم الذي ابتسم وقال:

ـ كنت أعلم أنها مسألة وقتٍ قبل أن تأتي محمولًا.

نظر قدري حوله فوجد كيسًا من الدم يتم نقله إليه وأنبوبة تخرج من جانب صدره متصلة بقارورة بجانَب السرير فسأل:

ـ ماذا أصابني؟

رد أكرم:

ـ لقد أصابت الرصاصة صدرك واخترقت الرئة اليمنى وأدت إلى ارتشاح هوائيّ دمويّ وهبوطٍ حاد في الضغط.. ولكننا أعطيناك بعضً المحاليل والدمِ وتم تركيب أنبوبة صدر لك.

ـ متى يمكنني الخروج؟

ـ الأمر ليس بهذه البساطة يا قدري ما زالت كمية الدماء التي تخرج من الأنبوبة كبيرة.. ستحتاج لدخول غرفة العمليات.

انعقد حاجبيّ قدري:

ـ ماذا؟

ـ آسف يا صديقي ولكننا سنستدعيك إلى غرفةِ العمليات فور أن نجهز المزيد من أكياس الدم لك.. والآن اعذرني فإنني مضطر إلى مباشرة عملي ولقد اتصلت بجارتك لترعاك فإنني أعلم أنك تعيش وحيدًا منذ وفاة والديك.

ثم نظر إلى أنور وهو يقول:

ـ تعالى معي سأحتاج إليك لتنهي بعض الأعمال الورقية.

بعد ذلك اصطحب أكرم أنور خارج الغرفة بينما وقفت هبة ونظرة تجهُّم على وجهها:

ـ في البداية ظننت أن نيركا هو الذي أصيب ولكن من الواضح أنك تطور من نفسك يا قدري.

ـ أنا لست متزوجًا.

تغيرت نظرة هبة إلى الشكِّ وهي تقول:

ـ لقد قالت أنها زوجتك أمامك وأنت لم تعترض.

ـ أنت لم تمنحيني فرصة للشرح.

ثم أخذ نفسًا عميقًا ازداد معها فقاعات الهواء التي تخرج في المياه الراكدة في القنينة المتصلة بأنبوبةِ الصدر ثم أكمل:

ـ لقد كانت خطيبتي وقد عقدنا القران ولم نتزوج بعد ولم تحتمل رؤية ما يحدث لي وبالطبع لم تصدقني فاتفقنا على الانفصال.

تهللت أسارير هبة قليلًا:

ـ إذًا فهي ليست زوجتك.

ابتسم قدري بصعوبةٍ وهو يقول:

ـ ليس بعد اليوم.. فبمجرد خروجي من هنا سأُنهي إجراءات الطلاق

ثم أخذ نفسًا آخر لتزداد فقاعات الهواء من جديد:

ـ والآن السؤال لكِ يا آنسة هبة.. هل تقبلي أن تتزوجي مطلقًا.

ارتبكت هبة وظهرت حمرة الخجل على وجنتيها ثم نظرت إلى الأرضِ فوجدت قميصه المخضب بدمائهِ فالتقطته وخرجت مسرعةً وهي تقول:

ـ سأذهب للتحدثِ إلى صديقك الطبيب.

وخرجت من الغرفة لتجد والدتها أمامها فقالت الأخيرة:

ـ هل جلبت ما طلبت منك؟

ـ نعم قميصه وعليه دمائه.

ابتسمت العجوز وهي تقول:

ـ جيد.. نحن سنجلس بالقرب منكِ ولكننا لن نعدك بشيءٍ فالساحر قال لي أنه سيجرب تعويذة لفصل الروح عن عالم الحلم ولكنه لم يفعلها من قبل.

ـ حاولي أي شيءٍ يا أمي.

التفتت هبة لتعود إلى غرفتهِ ولكنها فوجئت بأكرم أمامها

ـ إذًا فقد قال لك وصدقتيه.

ـ أنت تعلم ما به؟

ـ لقد حكي لي أكثر من مرة ولكنني لم أصدقه.. ما يقوله لا علاقة له بالعلم..

ـ ولكنه يصاب جسديًا.

ـ ربما يفتعلها.. لقد أجريت له تحاليلًا كاملة ورنينًا على المخ ورسم مخ وحتى تحاليل مخدرات بالدم وجميعها جاءت سلبية وعندما رفضت تصديقه توقف عن قول أسباب إصاباته لي.

تركته هبة وهي تهم بدخول الغرفة وهي تقول بصوتٍ خافت:

ـ ربما كان من الأفضل أن تصدقه فقط.

دلفت هبة إلى الغرفة لتجد قدري نائمًا:

ـ نيركا.. استيقظ.

أفاق نيركا ليفوجأ بأعدادٍ مهولة من المجوم تجتاح الجيوش والمحاربين يقاتلونهم بكلِّ ضراوة وزينورا تقف أمام جسده لتدافع عنه.

انتفض نيركا واقفًا مستلًا سيفه ليضرب أقرب كائنات المجوم إليه فيندفع إلى الخلف ليصطدم بصديقهِ الذي يحارب زينورا ويسقطان أرضا إلا أنهما سرعان ما يقفان ويعاودان الهجوم ونيركا وزينورا يقفان جنبًا إلى جنب في وسطِ ساحة المعركة يُطيحان برؤوس بعض المجوم ويشقان البعض الآخر وحشود المجوم تستمر بالهجومِ ومحاربي القبائل يحاولون بكلِّ قوتهم لصد الهجوم ويشقون ما يستطيعون من رؤوسِ تلك الكائنات القبيحة.. ومن مكانه استطاع نيركا أن يرى ملك زنديون يصول ويجول وجنزوا محاربه الصنديد يمسك بسيفين طويلين يضرب

بهما ذات اليمين وذات الشمال وها هو كارياك مليكه يحارب وسط زمرة من خيرة شباب ساج وها هو سوجدو ومحاربيه ويا له من ملكٍ تهتز الأرض من تحت قدميه وهو يقاتل ويقتل المجوم وها هو كبير وزرائه هيجنزاي يجثو على ركبته حاملًا قوسه و...

ولكن مهلا هل يُصوِّب نحو سوجدو؟

إنه بالفعل يفعل هذا.

ـ نيركا احترس.

ـ فوجئ نيركا بصرخةِ زينورا فالتفت وراءه ليفاجأ بيدِ أحد كائنات المجوم تصدمه برأسِهِ بعنفٍ ليطير إلى الوراء ويقع على ظهره مغشيًا عليه.

فجأة يقفز قدري في سريرِهِ وهو يصيح من الألمِ فتهرع إليه هبة:

ـ لا بأس.. لا بأس أنت هنا الآن.

ينظر إليها قدري لاهثًا.

ـ أريد أكرم سريعًا.

تجري هبة بكاملِ طاقتها لتعود بعد دقيقة ومعها أكرم الذي سأل:

ـ ماذا يجري؟

ـ أريد حقنة منومة الآن.

ـ ماذا؟ لماذا يا قدري؟

ـ أكرم ثق بي هناك من سيُقتل بالعالم الآخر.

ـ ستعود إلى خرافاتك هذه.

هنا تدخلت هبة بالحوار:

ـ أرجوك صدقه.. لا يوجد سببٌ ليدَّعي ما به أعطه ما يريد.

ـ حسنًا يا قدري سآمر بحقنةٍ مهدئة لك الآن لتنام ولكنها ستكون الأخيرة فعمليتك ستبدأ بعد قليل.

قالها وخرج من الغرفةِ ولم تمض الدقيقة حتى دخلت ممرضة لتضخ الحقنة عبر دمائه لتغيم الدنيا في عينيّ قدري وينتقل إلى عالمٍ آخر.

فتح نيركا عينيه ليجد الأرض مفترشة بجثثِ المحاربين وبعض المجوم فنهض وأخذ يجوب بين أجساد ووجوه المحاربين حتى وجد الملك سوجدو ووجد هيجنزاي ما زال يحوم حول الملك ليتحيَّن الفرصة لقتله وهو يعلم أنها فرصة واحدة ولن يُتاح غيرها.

وبكلِّ قوته انطلق نيركا بين الصفوفِ يدفع هذا ويطعن هذا ويقاتل واحدًا من المجوم ويشق رأسه ويتلقى ضربة في بطنه ويقف بعدها ويقاتل وهو في كلِّ هذا يسلك طريقه نحو سوجدو

ووصل إليه في الوقتِ المناسب وما إن رآه سوجدو حتى تعرف عليه:

ـ أنت السبب في كل هذا أنت من استدرجتنا واستدرجت المجوم...

ولم يتوقف نيركا لحظةً لسماعِ ما يقول وما إن شق رأس أقرب المجوم إليه حتى انحنى ليلتقَط سيفًا من الأرض ويُلقيه في الهواء ليمرق بجانب جسد سوجدو ويستقر في صدرِ هيجنزاي الذي كان قد رفع قوسه ليقتله.

تسمر سوجدو في مكانه للحظة وقد جمدته المفاجأة فاقترب منه نيركا وهو يلهث:

ـ لقد كان يستهدفك.

وقف نيركا بجانب سوجدو في حين هبط تنين السامو للحظاتٍ فوق كتف نيركا.

ـ لا أرى نصرًا هنا بدون الكثير من الدماء.

قالها سوجدو وهو ينظر إلى أعدادِ المجوم الضخمة وجيوشهم التي فقدت ثلث رجالها والجثث التي تملأ الساحة من المجومِ والمحاربين.

ـ هكذا هي الحروب التي تُحدد المصير.. لا نصر بدون دماء.

وفجأة تهلَّلَت أساريره وهو يُشير إلى السماء:

ـ ها قد جاء المدد.

كان هذا صديقه باماسي يمتطي تنين الجوكوا وهو يبحث عن صديقهِ بين الصفوف وما إن رآه بجانب سوجدو حتى اتجه بالتنينِ مباشرةً إليه وكذلك فعلت زينورا التي تتبعت التنين بنظرها وقفز باماسي من فوق صهوة تنينه ليهبط بجانب نيركا في حين ضربت زينورا رأس كائن وهي تقترب منهم.

ـ هل فاتني الكثير.

ـ لا باماسي فقط بعض الرؤوس التي تحتاج إلى القتل.. أين المدد؟

ـ انظر حولك لقد وصل بالفعل.

أدار نيركا رأسه لينظر إلى الساحةِ مرة أخرى فإذا بالأجساد المضيئة تظهر وتختفي وتجول بين الصفوف وهي تقتل المجوم.

ـ اسمحوا لي فإنني لا أود أن أفوِّت الفرصة لحصدِ بعض الرؤوس.

قالها باماسي وهو يشق الصفوف مطيحًا بسيفهِ يأخذ ثأره ممن أسروه وعذبوه في حين اتَّجَه جنزوا مع ملكهِ نحو زينورا واقترب كارياك من نيركا والدماء تغطيهم جميعًا وقد تناثرت بعض الجروح والحروق في أجسادهم قالت زينورا:

ـ لقد أوشك الأمر أن ينتهي.

هزَّ نيركا رأسه نفيًا.

ـ لا.. ليس بعد.. لقد هزمنا جيشهم ولكن البوابة ما زالت مفتوحة وسيأتي المزيد.

أشارت زينورا نحو الماسة التي تقع على صدره:

ـ هذه الماسة تغلقها كما فتحتها أول مرة.

قال جنزوا بصوته الأجش:

ـ الذهاب إلى نار المجوم لن يكون بالرحلة.

قال نيركا:

ـ إن معنا الجنداي سيقاتلون معنا.

سادت لحظة من الصمتِ بين الجميع فقطعتها زينورا وهي تنظر إلى أبيها:

ـ ألا تودون إصلاح أخطاء الماضي؟

تبادل والدها وكارياك وسوجدو النظر فيما بينهما فقال سوجدو:

ـ أنت تعلمين إذًا؟

ـ ولن أخبر أحدًا إذا قررتم الوقوف جنبًا إلى جنب لإغلاق تلك البوابة الملعونة.

قال كارياك:

ـ لا أجد مهربًا من ذلك.. إنها الفرصة الوحيدة التي سُنحت لنا لإيقاف ذلك الجنون.

استلَّ سوجدو سيفه وهو يقول ماذا ننتظر إذًا؟

اقترب منهم شيخ الجنداي وهو ينظر نحو نيركا:

ـ لقد وفينا بوعدنا معك.

ـ وأنا أيضًا.. ولكن هناك معركة أخيرة.

ـ لم نتفق سوا على معركةٍ واحدة.

ـ يجب إنهاء ذلك الخطر.. يجب غلق البوابة.

ـ قلنا لكم هذه حربكم وليست حربنا وقد قاتلنا معكم الجيش الكبير ولن تجدوا صعوبة في اختراقِ تلك الأعداد الصغيرة التي تحرس البوابة وعهدنا معك انتهى.

قالها الشيخ ثم أشار بيده عاليًا لتبدأ تلك الألوان القرمزية في الاختفاءِ حتى تلاشت تمامًا قبل أن يتلاشى هو نفسه في حين اتَّجَه كل ملكٍ نحو جيشه لينظِّمهم بعد أن أُبيد المجوم بالكامل.

أخذت الجيوش بعض الوقت لتلتقط أنفاسها ولتُنظم صفوفها ثم انطلقت صوب بوابة النار.

كانت البوابة أشبه بصخرةٍ ضخمة بين الجبال.. وهناك منحدرٌ جبلي ضخم بينها.. وهناك بدأت الجيوش تستعد وبدأت قوات المجوم في الخروج.

لم يمضِ الكثير حتى التحم الجيشان.

كان المجوم بدون جيشهم الأكبر وكان جيش القبائل متعطشًا للدماءِ فكانت الكلمة الأكبر في ساحة المعركة ومنذ اللحظة الأولى لجيوش القبائل.

صال جنزوا وقتل الكثير وكذلك فعل سوجدو وكارياك وكذلك فعلت زينورا أمَّا باماسي فقد أخذ ثأره منهم تمامًا.

أما نيركا فكان منهكًا تمامًا ولكن هذا لم يمنعه من القتالِ بل إنه قتل منهم الكثير وزينورا وباماسي يقاتلان بجانبهِ وتنين السامو الصغير ما بين لحظةٍ وأخرى على كتفه ولكن عينيّ نيركا ظلت مركزة على تلك الفجوة الصغيرة التي تحمل نقشًا بجانب البوابة والتي تسع تمامًا القلادة التي يحملها.

ظل نيركا يقترب من البوابة وبجانبه صديقه وحبيبته وهو يرى نهاية الحرب في تلك الفجوة ولكن فجأة خرج من البوابة ذلك الكائن الضخم نفس هيئة المجوم بأطرافهِ الطويلة ومخالبه الحادة والرأس ذو الثلاث عيون والجسد الصخري المتوهج ولكن هذا الكائن تعدى طوله المترين والنصف وظل يقف أمام تلك الفجوة وهو ينظر إلى نيركا وقلادته وما إن اقترب نيركا حتى

اتجه الكائن نحوه وأخذ يُكيل إليه اللكمات إلَّا أن نيركا كان ماهرًا بحق فأخذ يتفاداها يمينًا ويسارًا وهو يحاول أن يقفز مسددًا سيفه نحو ذلك الرأس ولكن طول الكائن والحالة الجسدية السيئة لنيركا حالتا دون أن ينفِّذ نيركا مبتغاه ولم يمضِ الكثير حتى انضم له صديقه باماسي في تلك المحاولة اليائسة من النيلِ من الكائن ولكن الكائن أطاح يده في حركةٍ مفاجأة أطاحت نيركا إلى الخلف ليصطدم رأسه بصخرةٍ و...

ـ جيد أنك أفقت قدري فقد حان موعد دخولك العمليات وطبيب التخدير لن يرضى أن يبدأ العملية وأنت نائمٌ.

انتفض قدري عندما وجد أكرم أمامه:

ـ يجب أن أعود ثانيةً يا أكرم.

ابتسم أكرم:

ـ لا تقلق ستنام بعد قليل.

أدار قدري نظره فإذا بهبة تقف أمامه:

ـ إن والدتي تفعل ما بوسعها.

ـ لا بأس يا هبة في كلتى الحالتين سأكون شاكرًا لها.

دخلت ممرضة وعامل الغرفة ومعهم ناقلة حديدية متحركة والممرضة تقول لأكرم:

ـ العمليات جاهزة وطَلَبَت صديقك يا دكتور أكرم.

تحرك قدري بصعوبةٍ متكئًا على أكرم والعامل وهبة تساعدهما حتى استلقى على الناقلة وبدأت الرحلة إلى العمليات.. في البداية كانت الرؤية ضبابية ورهبة غرفة العمليات المهيبة انتابته إلا أن ابتسامة من طبيب التخدير ومزحة من طبيب جراحة القلب والصدر أزالتا التوتر من قدري.

وأشار طبيب التخدير لمساعدته:

ـ هيا أعطهِ أمبول البروبوفول المخدر.

ـ كله؟

ـ نعم فجسده ضخم سيحتاجه كله.

وما إن سرى الدواء في عروق قدري حتى أفاق نيركا.

فتح نيركا عينيه ليفاجأ بسوجدو وجنزوا وزينورا يساعدون باماسي في محاربة كائنين من المجوم تعديا المترين والنصف.

تحسس نيركا مكان القلادة ليجدها اختفت فإذا بهِ يتلفت حوله فإذا بتنين السامو يحمل القلادة بقدمهِ وهو يقف على صخرةٍ فوقه.

ـ لقد انتهت مهمتك نيركا.. جاء الوقت لأنهي ما بدأناه.

هكذا قال التنين الصغير والدهشة تغلب نيركا:

ـ من أنت؟

ـ حذَّر.

ـ أنت الساحر الأعظم.

ابتسم التنين وهو يقول:

ـ نعم ولدي مهمة يجب إنهائها وقد ساعدتني كثيرًا بنقلي حتى هنا وبتصفية قوات المجوم وجاء الوقت لإغلاق تلك البوابة.

لم ينتظر الساحر بعد ذلك طويلًا فقد انطلق يطير حتى وضع القلادة في التجويف الصخري وفي لحظاتٍ انهارت البوابة وتحطمت القلادة وبقِيَ القليل من المجوم.

وقف نيركا مترنحًا وبعد لحظاتٍ قرر الانضمام لزملائه وبالفعل انضم إلى سوجدو وباماسي في محاربةِ ذلك المجوميّ الضخم ولكن صدمة جديدة على رأسه أعادته إلى قدري.

ـ إن المريض يستيقظ يا دكتور.

كذلك هتف جراح القلب والصدر بزميله طبيب التخدير.

ـ نعم ولكني لا أفهم لماذا؟ لقد أعطيته مخدرًا وريديًا كاملًا والمخدر التنفسي على أعلى معدل.

ـ لا يهمني لماذا؟ يهمني أن ينام.

أشار طبيب التخدير لمساعدته:

ـ نصف أمبولٍ آخر.

وسرى المخدر بدمائه وها هو نيركا يعود وما كاد أن يقف حتى عاجله الكائن بلطمةٍ أخرى و...

ـ إنه يستيقظ مجددًا أيها الطبيب افعل شيئًا.

ـ أعطه ما تبقى من الأمبول.

و....

ظلام..

هدوء..

لأولِ مرة يميز قدري هذا الهدوء.. مكان غريب ليس به نيركا وربما ليس به قدري.

ظلام وراحة دامتا لدقائق.

و...

ها هو نيركا يفيق.

لقد نجح سوجدو وباماسي في قتل أحد الكائنات وما زالت زينورا وجنزوا يناوشان الآخر.

وقف نيركا برؤيتهِ الضبابة بعد أن تلقى ثلاث صدماتٍ على الرأس وأخذ يراقب المنحدر بعد أن نجح الجيش في القضاءِ على المجوم.

لم يتبقَ سوى ذلك الكائن الضخم.

ـ زينورا احترسي.

في لحظةٍ خاطفة ضربت يد الكائن صدر زينورا لتسقط أمامه فريسة سهلة بينما تلقى جنزوا ضربة هو الآخر ألقته المترين إلى الوراء ليترك زينورا صيدًا ثمينًا وحدها ورفع الكائن مخالبه وهبط بها على زينورا..

وللحظة مرَّ كل شيءٍ في عقل نيركا..

تذكر جمالها في تلك الخيمة أول مرة رآها..

تذكرها وهي تنقذه أمام أبيها وجنزوا..

وعندما أخرجته من وسط جيشها..

وعندما صارحته بحبها..

وعندما كان نائمًا على ساقيها..

لا لن يسمح بهذا..

لن تموت حبيبته لن يكون هو من جلب لها هذا..

وبكل قوته ألقى نيركا جسده أمام زينورا..

واخترقت المخالب صدره.

ـ لا.. نيركا.

هتفت زينورا التفت باماسي وسوجدو لينقضَّا على الكائن ويكيلان له الطعنات ومن وراءهما قفز جنزوا بجسدهِ المفتول ليشقَّ رأس المجومي الأخير ويسقط جثةً هامدة.

جلست زينورا محتضنةً نيركا وهو يأخذ أنفاسه بصعوبة.

ـ نيركا اصمد أرجوك.

نزلت دمعتان من عينيّ نيركا المنهكتين وأنفاسه تتسارع قبل أن يقول بصعوبةٍ:

ـ أحبك زينورا.

وانقطعت أنفاسه.

ـ أيها الطبيب لقد توقف القلب.

قالها جراح القلب والصدر مخاطبًا طبيب التخدير الذي هتف بمساعدتهِ على الفور:

ـ أدرينالين وأتروبين سريعًا.

أحضرت المساعدة الحقنتين وضختهما في دماءِ قدري والجميع يراقبون الموقف ولم يحدث أي تغييرٍ فقال الجراح:

ـ أريد جهاز الصعق الكهربائي.. وأمبول أدرينالين سأحقنه بالقلب مباشرةً.. هيا.

ومن مكانه خلف زجاج باب العمليات لم يتحمل أكرم المشهد.

لم يتحمل رؤية صديقه هكذا.

فخرج خارج حيز العمليات ليجد هبة أمامه وبدون أن يشعر انهمرت دموعه أمامها فسألته:

ـ ماذا حدث؟

ـ ادعي له يا آنسة هبة إن الموقف عصيب بحق.. لقد توقف قلبه ويحاولون انعاشه.

وبدون كلمةٍ أخرى استدارت هبة وهي تعدو بكلِّ قوتها والدموع بدأت تُغرق وجهها هي الأخرى حتى وصلت إلى ركنٍ جلست به والدتها ومعها رجل مسن أعمى وقميص قدري بينهما وهناك رسومات غريبة على الأرض وترانيم أغرب تُقال.

ـ أرجوكِ يا أمي افعلي شيئًا لقد توقف قلبه.

ولكن والدتها والمسن لم يلتفتا إليها ولم يبدُ أنهما سمعاها من الأصل وظلا ينشدان ترانيمهما وصوتهما يعلو.

وجلست هبة على الأرض وقدماها لا تملكان من القوة لحملها ودموعها تنهمر في غزارةٍ:

ـ أرجوكِ يا أمي أرجوكِ..لقد توقف قلب حبيبي..

ـ أرجوكِ يا أمي أعيديه إليّ..

ـ أتوسل إليكِ..

الخاتمة

ـ لماذا أنا أيها اللواء نشأت؟

ـ لأنك تستطيع أن تتحمل يا قدري.

ـ ولكن ما تطلبه مني صعب.

ـ بل هو مستحيل على غيرك.

ـ أنت تطلب مني أن أكون ما لست عليه.. تريدني أن أتظاهر بالفساد.

ـ لا يا قدري.. لن تتظاهر.. بل ستكون فاسدًا.. ستأخذ الرشاوي وستشتري المخدرات وستتوغل في الوحلِ حتى أذنيك.

ـ سيادة اللواء نشأت...

ـ هناك فساد داخل إدارة البحث الجنائي ولن تسمح الداخلية بهذا.. يجب أن نوقع بالفسدة ويجب أن يكون الفخ عن طريق أحدهم.. يجب أن تُصبح واحدًا منهم.

ـ لما أنا؟

ـ إنك وحيد وليس لديك أصدقاء وأنا كنت على صلةِ صداقة بوالدك اللواء سليمان.

ـ ستسوء سمعتي وسأُلطخ اسم والدي.

ـ نعم.. وسنطاردك.. ولكن في النهاية ستكون بطلًا.

تذكر اللواء نشأت تلك المقابلة وهو يقف خارج غرفة قدري بجانب هبة والأخيرة تقول:

ـ إذًا كل هذا كانت مهمة لقدري وسمعته السيئة بالإدارة كل ذلك كانت تعليمات.

قال اللواء نشأت:

ـ كنا نشك في اللواء إبراهيم فقررنا زرع عميل داخل إدارته منذ أكثر من عامين وكان يشتري المخدرات ويسلمها لنا.. وليلة إصابته بالرصاص اتصل بي وأخبرني عمَّا حدث من اللواء إبراهيم وأيمن وأخبرني أن جان سيكون في الصاغة وأنه سيستفز أيمن واللواء إبراهيم إلى أقصى حدٍ ووضعنا معه أجهزة تصنت وسجلنا ما

دار وسجلنا حتى مكالمة اللواء مع وسيط يُدعى صفوت وداهمنا مكتب اللواء وقبضنا عليه مع أيمن.

ـ لقد كنت قاسيًا جدًا مع قدري.

ـ هو يستطيع تحمل أكثر من ذلك.

قالها اللواء نشأت ودخل إلى الغرفة حيث يرقد قدري موصلًا بأسلاكٍ وأنابيب عديدة.

ـ حمدًا لله على سلامتك يا بطل.. لقد أخبرني صديقك أنك نجوت بأعجوبةٍ بعد أن توقف قلبك.

ـ حمدًا لله.

ـ نحن ننتظر عودتك بفارغ الصبر يا قدري.

ابتسم قدري بصعوبةٍ:

ـ ولكنني لن أعود يا سيدي.

ـ ماذا؟!

ـ لقد تعبت من كل هذا.

ـ ستعود كضابط وليس كعميل.

ـ سيدي ماذا تعتقد أنه سيحدث للواء إبراهيم؟

ـ سيحاكم ويسجن.

ـ لن يكون سجنه لفترةٍ كافية سيجد مخرجًا قانونيًا وهذا الوسيط صفوت هل قبضتم عليه؟

ـ للأسف لقد هرب.

ـ ربما سيأتي من بعد اللواء إبراهيم من يكون في فساده.

ـ سنبحث خلفه ونعزله ونحبسه أيضًا.

ـ لقد تعبت من كل هذا سيادة اللواء إنني في الجانب الخاطئ من العدالة.

ـ تريد أن تصبح مجرمًا؟

ابتسم قدري وهو يقول:

ـ بل محاميًا يا سيدي.

ـ أنت لا تقصد ما تقوله ولكنني سأتركك الآن وأعلم أنك ستعود لرشدك.

ولكن قدري كان بالفعل يقصد كل كلمةٍ مما قالها..

بل إنه لم يكد يفارق المستشفى حتى قدَّم أوراق استقالته وبدأ في إجراءات قيده بنقابةِ المحامين..

ولم يكن هذا قراره الوحيد الذي أخذه بالمستشفى ونفَّذهُ..

لقد أخذ أجمل قرارٍ بحياته.

لقد تزوج تلك الفتاةِ التي أحبها.

تزوج هبة.

ـ عندما رأيتُكَ لأولِ مرة لم أكن أتخيل أنني سأكون زوجة ذلك الضابط الذي أتى يستجوبني.

قالتها هبة وهي تجلس بجانب زوجها قدري على السرير.

ـ أنتي لم تتزوجي ذلك الضابط لقد تزوجتي محاميًا.

ـ هل تعتقد أن أمي هي من أنقذت حياتك؟

ـ صدقيني لا أعلم هل هي من فعل هذا؟ هل الأدوية والصعق الكهربي هل كل ذلك معًا؟

ـ لا أعلم ولكن هناك من فصل قدري عن نيركا.. حتى نيركا نفسه لا أعلم مصيره هل مات؟ هل هو حي يتمتع بحياته مع زينورا؟

ـ كل تلك التساؤلات ستبقى بلا جواب.

ـ حمدًا لله أن حياتكما انفصلت فإنني لم أكن لأتحمل أن تنام لتحلم أنك في أحضانِ تلك المرأة زينورا.

أطلق قدري ضحكة قصيرة قبل أن يستلقي في سريره وهو يقول:

ـ لا تقلقي زوجتي العزيزة فالآن لا أحلم سوى بالظلام يحيط بي من كلِ جانب.

أعطته زوجته قبلة حانية وهي تقول:

ـ نومًا هانئًا يا زوجي العزيز.

لم يمضِ الكثير حتى نام قدري..

ها هو الظلام الدامس الذي اعتاده منذ شهور..

هدوء شديد يستمر لساعات..

ولكن هذه المرة الأمر يختلف..

همهمات يسمعها حوله..

وضوء خافت..

وتتحول الهمهمات إلى كلام..

ويزيد الضوء ليتحول إلى صور..

ـ لقد عدت يا سيدي.

فوجئ قدري بالملابس الذهبية التي انتشرت بغرفةٍ تعج بالبشر.

ـ أين أنا ومن أنتم؟

ـ أنت لا تتذكر.

ـ لا.. لا أتذكر شيئًا.أنت شويندوق ملكنا وملك تلك المجرة.. ولقد دخلت في غيبوبة منذ شهورٍ بعد أن تعرضت لصدمةٍ على رأسك ومجرة ديجا تهجم علينا الآن ونحن في انتظارِ أوامرك.

ـ ماذا؟

ـ أنا......

ما بعد النهاية

وقفت والدة هبة مع الساحر العجوز الأعمى أمام مستشفى القصر العيني والابتسامة تملأ وجهها:

ـ لا أدري كيف أشكرك أيها الساحر جاد.

ـ لا شكر بيننا.. يكفي أنك أخت معلمي المغربي الحاجي مصطفى ومهما فعلت فلن أستطيع رد جميله علي.

ـ بالعكس ما فعلته اليوم كان عظيمًا.. على الأقل بالنسبة للشاب.

هز العجوز رأسه معترضًا:

ـ لقد كسرت فقط العلاقة بين قدري ونيركا ولكن هذا الشاب يحمل بداخله قدرات لا أفهمها ولا هو كذلك.

ـ المهم أنك أنقذت حياته.. والآن كيف أرد لك الجميل؟

ـ لا شيء.. فقط سيارة أجرة تعيدني إلى شقتي.

ابتسمت السيدة المغربية متفهمة وهي تشير نحو سيارة أجرة قادمة من بعيد ولكنها فوجئت بأخرى كانت متوقفة بالقرب منهما تأتي مسرعة نحوهما وتقف أمامها فانحنت العجوز وهي تقول للسائق:

ـ الهرم

فقال السائق الضخم:

ـ تفضلي

فتحت السيدة الباب للعجوز الذي ركب برشاقة لا تتناسب مع سنه ولا مع عجز بصره. وسرعان ما كنت السيارة تسير مبتعدة ومرت الدقائق ساد فيها الصمت أرجاء السيارة حتى قال العجوز جاد:

ـ لماذا تحدق بي أيها السائق؟

انطلقت ضحكة من فم السائق:

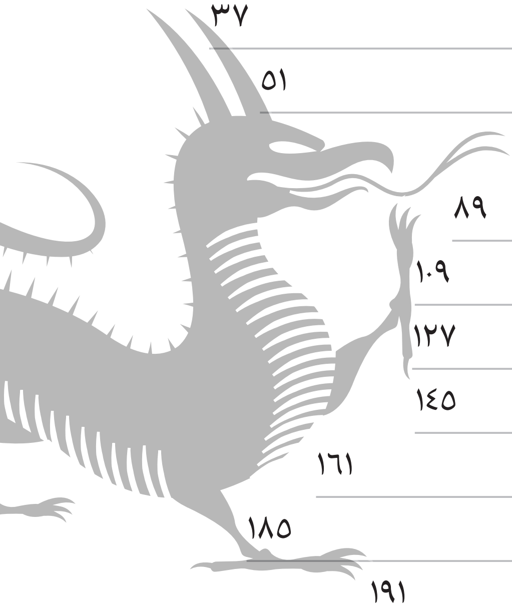
ـ لن أتفاجأ بما تقول أيها العجوز الأعمى فأنا أعلم من أنت.

ـ لقد كنت تتبعني منذ صباح اليوم.

ـ اسمي آدم ..ولكنني لا أريدك أنت.. أريد تلميذك زياد.. أريد ساحر بابل.

إلى اللقاء مع ساحر بابل

فهرس



تَشكِيل للنَشر والتَوزِيع